مكتبة (مدبولي) تقدم :

معارك النبي صلى الله عليه وسلم مع اليهود...

والاستراتيجية العربية الموحدة !!!

لا إله إلا الله محمد رسول الله

محمد علي قطب

مكتبة مدبولي
القاهرة

معارك النبي
مع اليهود..

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتبة (مدبولي) تقدم

معارك النبي (ﷺ) مع اليهود...

والاستراتيجية العربية الموحدة !!!

محمد علي قطب

الطبعة الأولى
١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

مكتبة مدبولي
٦ طلعت حرب - القاهرة

المحتويات

المقدمة ٧

الفصل الأول ١٣

رؤية تاريخية : ١٥

(أ) يهود المدينة ويهود خيبر ١٥

(ب) أصلهم ١٦

(ج) سيطرتهم : الاقتصادية والدينية ١٧

(د) قبائلهم وزعماؤهم ٢٣

(هـ) ملاحظات لا بدّ منها ٢٥

(و) الإسلام والهجرة والعهد ٢٨

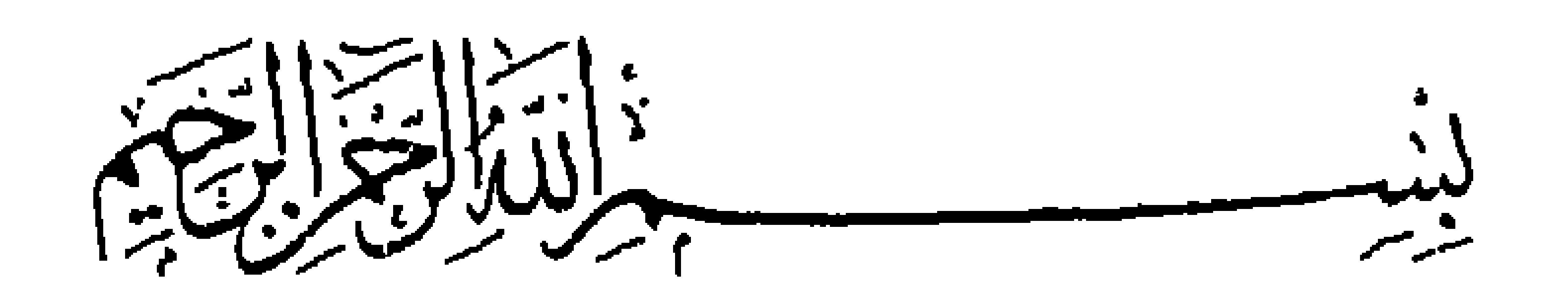
الفصل الثاني ٤٥

(أ) غزوة بني قينقاع ٤٧

الأسباب ـ الوقائع ـ المستخلصات ...... ٤٧ ـ ٥٤
(ب) غزوة بني النضير ٥٥
الأسباب ـ الوقائع ـ المستخلصات .... ٥٥ ـ ٦٤
(ج) غزوة بني قريظة ٦٤
الأسباب ـ الوقائع ـ المستخلصات .... ٦٤ ـ ٨٠
(د) غزوة خيبر ٨٠
الأسباب ـ الوقائع ـ المستخلصات .... ٨٠ ـ ٩٥
(هـ) متفرقات ٩٥

الفصل الثالث ٩٩

(أ) بين الماضي والحاضر ١٠١
(ب) ماذا يعنون بالاستراتيجية الموحدة ١١٤
(ج) الغزو الصليبي والصهيوني والشيوعي
و . . . الهويّة الاسلامية ١٢٧
(د) مُسْتخْلصات وحقائق ١٣٩
الخاتمة ١٤٣



مقدمة

إن الحمد لِلَّه، نحمدهُ ونستعينُهُ ونستغْفِرُه، ونعُوذُ به من شرور أنفسنا وسيئاتِ أعمالنا ، من يهده الله فلا مضِلّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، بلَّغ الرسالة ، وأدَّى الأمانة ونصبح الأمة ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ، والتابعين بإحسانٍ إلى يوم الدين .

وبعد ،

فإن قدَر أُمَة الإسلام أن تكون ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخرجت للنّاس ﴾ تأْمُرُ بالمعروف وتنهى عن المنكر . . . ، ترفع راية التوحيد وتدافع عنها .

وأن تكون أيضاً ﴿ أُمَّةً وَسَطا ﴾ ، لها الشهادة على الناس

مع تعاقب الأزمان والأجيال والأجناس ، والعقائد والأفكار .

ويكون الرسول « محمد » ـ ﷺ ـ ﴿ شهيداً ﴾ عليها ، في حملها الرسالة ، وأدائها الأمانة . . .

قَدَرُها أن تتمحْوَرَ حوْلها كل الشرور والفتن لتكبِّلها وتعطِّلها عن السَّعْي والحركة ، أو تشُلَّ استمراريّة روح الانبعاث والإشراق والجهاد فيها .

ولكنّه قَدَرٌ ودَوْر . . .

وهيهات للشَّرِّ أن ينتصر على الخير ! ! !

فالله غالبٌ على أَمْرِهِ . . .

والله من ورائهم محيط . . .

فمهما طال اللَّيْل وأطبق الظلام ، فلا بدَّ للفجْر أن ينبلج . . . ، ولا بُدَّ للنُّورِ أن يسْطع وينتشر . . .

ولستُ هنا في معرض تزويق العبارة ، أو زخرفة الكلمة ، أو تدْبيج المقالة ؛ بل أُحِسُّ وأعقل وأعْني كُلّ ما ذكرت ، بكلياتِهِ العمومية ، ودقائقه وجُزْئيّاته . . .

لا أتوهّمه ولا أتخيّله . . . ، بل أعيشه تجربةً تاريخيّة حيّة ، على مدى قرونٍ طوالٍ سَلَفَتْ ، وَأَرْقُبُه ـ بإذن الله ومشيئته ـ أملاً في الغد القريب .

والهجمة اليهودية اليوم على العالم الإسلامي !؟ هي

مَوْضع البحث والدراسة ، وهي لا شك إحدى الفتن الكُبرى التي تعصف بنا من كل جانب . .

وهي ولا شك ـ أيضاً ـ قد أخذت مداها على ساحتنا العربية إلى حدٍّ كبير ، وتوشك أن تزرع اليأْس في قلوب المستضعفين ، وتزلزل كيان البائسين .

أما الطليعة الإسلامية ، أو الصَّفوة والنُّخْبة ، من أبناء الأمة ، فإنهم لا يروْن في الواقع السيّء المرير سوى جوْلة من جولات الباطل ، لا بُدَّ وأن تنحسر وتَنْدَحر **﴿ إن الله يُدافعُ عن الذين آمنوا ﴾ ﴿ وكان حقّاً عليْنا نَصْرُ المؤْمنين ﴾** . . .

وهُم ، من خلال هذا المفهوم الثابت ، يأخذون أنفسهم ، ويَرُودون عليه أُمّتهم ، في وعي وإدراك وموضوعية ومواكبة ، غير غافلين ولا متشنجين .

كما يدركون أن هذه الهجمة اليهودية لا تَنْفكّ عن ارتباطها العضويّ بالحقْد الصليبي والإلحاد (الماركسي) في تهتُّكٍ تَفْضحه بيْن الحين والحين خُرافة [التعايش السلمي] ووثيقة [تبرئة اليهود من دم المسيح] ـ عليه السلام ـ .

فالكُفْر كلُّه مِلَّةٌ واحدة . . .

وهنا تحضُرنا (النكتة) !!!

(النكتة) التي تطلقها بين آنٍ وآخر أبواق تَنْعق بما لا تفهم

ولا تعي . . . ، فتردّد مطالبةً بـ[استراتيجيّةٍ عربيّةٍ موحّدة] في المعركة مع الصهيونية ؟!!

وإني لأشعر إزاء هذا التَّرديد الببغاويّ بالغثيان الفكري ، والخُواء العقلي والروحي ، يستبدّ بأصحابه . . .

أو أنّ [حديث الجنود] . . . فرعون وثمود . . . إسْتخفاف بالأُمة يبلغ حد الاستهانة بعقولها ومشاعرها . . . أو انعدام حركة حياتها .

أو كأن جهْد السَّعْي والدَّأب في بناء المستقبل بحاجةٍ الى محطة استراحة فكانت هذه (النكتة) . . . نكتة الاستراتيجية العربية الموحّدة !!؟

ونريد أن نسأل :

أوّلاً : إلى أي مدى بلغت جدِّيَّةُ الأمْر ؟

ثانياً : لماذا لا يصدر هذا النداء [النكتة] إلا بعد الهزائم ؟ وقد تكرَّرت !!! ؟

ثالثاً : هل هو عَزْم حقيقي ؟ أم دعوة استهلاكية ؟ لامتصاص ردّاتِ الفعل . . .؟

رابعاً : هل التجربة « المحمّدية » التاريخية حقيقة ماثلة لها أوْلويتها في الاعتبار ؟

أم أنها [أسطورة] وخرافة ؟

خامساً : متى نزيح ستار الوهم ، ونخلع برقع الغشاوة عن عقولنا وأفئدتنا ، ومن ثمَّ نعي هويّتنا وشخصيتنا ؟

أخي ، وعزيزي القارىء ،

لا أدَّعي ـ إطلاقاً ـ أَنّي على جانبٍ من الخبرة العسكرية ، فأعطي التحليل الدقيق بفروعه وجُزئياته ، ثم أدقّ شؤونِهِ أو (تكتيكاتِهِ) بالعُرْف القتالي .

ولكني أعرض ملامح المبادىء والأصول لمعارك النبي « ﷺ » مع اليهود ، والتي تشكل الإطار العام والقواعد الثابتة ، ولا أعتقد أنها تتطلّب الخبرة في هذا المجال بقدر ما تتطلّب الوعي الذهني والملاحظة . . .

فَضْلاً عن أن القرآن الكريم قد سَجَّل أهم تلك الحقائق لنجعلها في اعتبارنا على الدوام ، وهي ـ ولا شك ـ خلاصة التجربة .

وأخيراً . . .

فالله ـ وحده ـ يقول الحق ، وهو يهدي السبيل .

والحمدُ للَّهِ ربِّ العالمين .

محمد علي قطب

غُرَّةَ المحرم ١٤٠٤ هـ

الموافق ١٨/ ١٠/ ١٩٨٣ م

الفصل الاول



رؤية تاريخيَّة

(أ) ـ يهود المدينة ويهود خيبر

كان الوجود اليهودي في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام محصوراً في منطقتيْن اثنتيْن هُما : (يثرب) ـ المدينة ـ ، و (خيْبر) ، التي تقع على بُعْد مائةٍ وستين كيلومتراً من المدينة ـ تقريباً ـ .

وهاتان المنطقتان كان الوجود اليهودي فيهما كثيفاً ، حتى أن « خيبر » كانت كلّها خالصةً لهم ، ليس فيها من الأعراب أحد .

أما المدينة (يثرب) فقد كان يقطنها ثلاثة من قبائلهم هم : (بنو قيْنُقَاع) و (بنو النَّضير) و (بنو قُرَيْظة) ؛ اتخذوا حصونهم ومساكنهم في أطرافها ، وعزلوا سُكناهُم عن أهلها من (الأوْس) و (الخزرج) .

أما تواجدهم في غير هاتين المنطقتيْن فقد كان قليلاً ونادراً ، ولعلَّ بعضهم كان قد آتَّخذ لنَفْسِه حِصْناً في مكانٍ ما ، قريباً من « يثرب » ـ المدينة ـ أو « خيبر » تحت تأثير عاملٍ اجتماعي أو اقتصادي أو غير ذلك من الأسباب . . .

وشاهدنا على ذلك « السَّمَوْأل »[1] ، أَحَدُ أقطاب اليهود في شبه الجزيرة وزعمائهم ؛ الذي آعْتزلهم في حصنٍ خاصٍ به ، مع أفرادٍ من عشيرته وأتباعه .

واسم « السَّمَوْأل » كما ورد في كُتُب التاريخ والسِّير إن هو إلا تحريف للإسم العبريّ « صَمُوئيل » ! ! ! .

(ب) ـ أصْلُهُم

ليس الوجود اليهودي في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام أصيلاً ، إنما هو طارىء . . . ، لكن آختلف في زمانِ قدومهم وحلولهم على آراءٍ واتجاهات ، كُلٌّ يستند إلى أسبابٍ ونتائج ، ويدعّم وجهة نظره بالأسانيد والروايات والقرائن ، وهي ترجيحات واجتهادات غرضها في الأغلب الأعمّ خدمة الحقيقة التاريخية ، والبحث الموضوعي .

---

(١) السَّموْأل : ابن غريض بن عادياء.، كان يسكن خيبر ثم أقام في حصنٍ خاصٍ به سمّاه « الأبْلق » ـ الأعلام للزركلي ـ (ج ٣) (ص ٢٠٤) .

ولا نريد أن نخوض مع الخائضين في هذا المضمار ، لأنه ليس من موضوعنا في شيء ، اللهُم إلا أن يكون من مستلزمات البحث إيراد الرأي الأرجح ، تساوقاً مع الهدف والغاية .

فأحق النظريات بالأخذ ، قول القائلين بأن من نتائج السَّبي الذي تعرَّض له بنو اسرائيل على يد [نَبُوخذْ نَصَّر][1] ـ الفارسي ـ أنْ لجأت منهم طوائف الى الصحراء ، باتجاه الشرق الجنوبي من أرض كنعان [فلسطين] ؛ وأغرقوا في البُعْد حتى بلغوا « خيبر » أوّلاً ، فنزلت منهم طائفةٌ هناك ، وقد استهواها الشجر والثمر ، وكثرة الماء ووفْرة الخصْب . . . ، وأمْعنت طوائف أخرى في السَّيْر والنجاء حتى نزلت « يثرب » ـ المدينة ـ ، وفيها ما فيها من السكان الأصليِّين ، واتساع رقعة الأرض ، وغزارة الماء ، فتوزّعوا في الضواحي وآسْتقرّوا .

وجعلوا بيوتهم ومساكنهم مسوَّرةً محصّنة في شبه عُزلةٍ ، طلباً للحماية والأمان ، وحرصاً منهم على عُقدة التميُّز وخرافة [شعب الله المختار] .

(ج) ـ سيْطرتهم

سعى اليهود منذ اليوم الأول لنزولهم في « يثرب » الى

(١) ويُقال : « بُخْتَنصَّر » أيضاً .

السيطرة والتسلُّط ، وبسط النفوذ ، مُستخدمين وسائل ثلاث ، الأولى : العقيدة الدينية ، والثانية : عنصر المال ، والثالثة : المكْر والدهاء .

أما العقيدة الدينية فهي دعْواهم بأنهم أَهْل كتاب سماوي ، وأَنَّ أهل « يثرب » ما يزالون مفرقين في وثنيتهم وصنميَّتهم ، يعكفون على الأحجار والأخشاب ويتخذون ما ينحتون منها آلهة يقدسونها .

فكانوا يتيهون ويُدلُّون بذلك ، ويتفاخرون ويتعالُون . . . ، ثم إنَّهم يتحدثون بكثير من الاحتقار والازدراء عن نسبة العرب لِـ « اسماعيل » ـ عليه السلام ـ ، إذ أن أُمّه « هاجر » لم تكن إلا جاريةً عند « سارة » ـ أُمّ « إسحاق » ـ عليه السلام ـ ؛ جدّهم هُمْ ؛ والحُرَّةُ لا تعدلها إلا الحُرَّة ! ! !

ولقد كان هذا أمراً مشهوراً معروفاً ، حفلت به كُتُب التراجم والسِّير والتواريخ ، على مرِّ العصور وتعاقُب الدهور .

أما عُنْصر المال ، كوسيلةٍ ثانيةٍ من وسائل التسلُّط اليهودي ، والقهْر والإستبداد ، فقد كان واضحاً جلّياً من خلال تصرُّفاتهم ، ولقد توزّع على ثلاثة ميادين ؛ الأول : في الزراعة واستغلال الأراضي ، والثاني : في الإقراض بالرِّبا ؛ والثالث : في كنْز الذهب والوَرِق [الفضة]، لصياغة الحليّ والاتجار بها .

فحين نزلوا « يثرب » واستوطنوها ، إنما فعلوا ذلك بما وجدوه فيها من أراضي خصبة ، وينابيع نميرة ووفرة محاصيل ، وبما يلفُّ ضواحيها من نخيل باسقٍ لا عدَّ له ولا حصْر . . .

فأقبلوا على امتلاك الأراضي ، واستصْلاحها ، وحَفْر الآبار فيها .

وكانوا من قَبْل ذوي خبرةٍ زراعيَّةٍ حملوها معهم واستخدموها في موطنهم الجديد بحيْثُ طوَّروا كثيراً من الوسائل والطرق التي درج عليها أهل البلد . . . ، فآتتْ أُكُلها . . ، وأضحُوا خلال عقودٍ من السنين هُم الروّاد في هذا المجال ، وأصحاب الإقطاعات الكبيرة . . . ، والآبار التي تدرّ بالماء وتفُور بمخزون الأرض من العطاء .

من هنا جاءت سيطرتهم الزراعية ، وما يتصل بها من الأسباب ، في « يثرب » ، حتى اعْتُبِروا هم الملاّك ، وأما أهل البلد الأصليين فهم الأُجراء !!!

أما الميدان الثاني لاستخدام المال فهو الإقراض بالرِّبا ، وليس كمثله شيء في إذلال رقاب الناس ، وَطأطأةِ رؤوسهم ، ولقد كان لليهود ـ وما يزال ـ الباعُ الطويل في هذا المرفق .

واستطاعوا ، بسبب حاجة الناس ، أن يمسكوا بزمام رأس المال في « يثرب » ، ويجعلوه في أيديهم ، ثم يتّخذوه مطيَّةً إلى

التسلُّط الكُلّي والسيطرة التامة .

ولقد تفاعل ذلك واستمرَّ ، ولا بد له أن يستمرّ ، لأن وجودهم ونفوذهم إنما يأتي من هذا السبيل .

حتى إن الوجود الاسلاميّ في المدينة ، في العهد الأوّل ، عانى من متاعبه ومصاعبه ومضايقاته .

وما قصّةُ « سلمان الفارسي » و « بلال بن رباح الحبشي » ـ رضي الله عنهما ـ ، الأول مع مالكه والثاني مع دائنه ، اليهوديّيْن ، إلا صورة تشهد لما قلنا وأسْلفنا .

والميدان الثّالث لاستخدام عُنْصر المال ، فقد كان في صياغة الحليِّ من الذهب والفضة ، اذ بَرَع فيه «بنو قينُقاع» إحدى طوائف اليهود الثلاثة التي نزلت « يثرب» .

فجعلوا من أحِد اسواقهم سُوقاً خاصاً بالصياغة !!!

وهُنا نتوقّف قليلاً مع التاريخ لنُلاحظ أن هذا المفهوم ، أو هذا الطراز والنّسق من العمل في إيجاد سوقٍ خاصٍ وعلى شكلٍ معيّن ، تتوفّر له أسباب الحماية والأمان ، وتُعرض فيه مختلف أنواع الحليّ . . . ،

هذا الأمر ، المتكرّر في صورته العامة على مدار التاريخ ، حتى العصْر الحاضر ، وفي مختلف أرجاء الأرض ،

إنْ هو إلا بدعة يهوديّة ؛ ومما هو ملاحظْ أيضاً أنّ العنصر اليهوديّ يتكرر مع الزمن في أسواق الصَّاغة ، يغلب أحياناً ، ويقلّ أحياناً أخرى ؛ ولكنّه لا يمَّحي .

أقام « بنوقينُقاع » سُوقهم في حيِّهم وفي قلب مساكنهم ، واستقطبوا رغبات الناس في الزينة ، فكانوا مقصد الجميع ، يأتيهم أهل البادية كما يأتيهم أهل الحضر، ويتوافد على سوقهم أهل القرى والمدن ، القريبة والبعيدة ، كما يتوافد عليهم أهل « يثرب » ؛ واستمروا على ذلك حتى تمّ إجلاؤ هم ـ كما سيأتي بيانه عند الحديث عن غزوهم بسبب نقضهم العهد والميثاق الذي كان بين رسول الّله « ﷺ » وبينهم ـ .

والوسيلة الثالثة من وسائل تسلّطهم وسيطرتهم فهي مكرهم وغدرهم ودهاؤ هم ، إذ جعلوا من قبيلتَيْ « الأوس » و « الخزرج » ، خَـصـمـيْن متنازعين ، كُلّما خبتْ نار الجاهلية في صدورهم واستكانوا نفخ اليهودُ فيها من جديدٍ وألْهبوا أوارها وسعّروا وقودها ، ووقفوا يتفرّجون ويُراقبون ، ثم يجنون ثمار ما زرعوا ، ويحصدون ما بَذَرُوا .

يثيرون دواعي الفتنة كي تنهك الحرب قوى الطرفيْن ، ويظلّوا هم في مركز السيطرة والنفوذ ؛

وفي نفس الوقت نجد تحالُفاً بيْن شخصياتٍ بارزة من

« الأوْس » أو « الخزرج » وبيْن طوائف اليهود ، ولكنه تحالف تعايُشٍ وحماية ، لا تحالف نصرّة على الحرب والقتال . . .

إذ لا دخْل لليهود في نزاعاتِ « الأوس » و « الخزرج » ، التي تمكنت من الطرفين على مرور الزمن ؛ فلا ينتصرون لفريق على فريق . . ، هذا في ظاهر مبدأ التعايُش والتحالُف ؛ ولكنهم من وراء ستار ، ومن طرفٍ خفيّ . . يؤصِّلُون الخلاف ويوقظون الفتنة ويبذرون الشقاق ، ليستشري الضعف ، ويستمرّ النفوذ .

هذه الفطريّة اليهودية الأصيلة ، من مكر وغدرٍ ودهاء تتبدّى واضحةً من خلال الوقائع والأحداث ، منذ القدم وإلى يومنا هذا . . .

وهذه الظاهرة العنصرية استدعت كثيراً من المفكرين والعلماء والقادة ، عبر القرون والأجيال ، أن يعكفوا على دراستها واستخلاص بعض النظريات بشأنها ؛ أوِ الحلول . . . وقد تكون جهنّميَّةً . . . كما خطر للزعيم النازي « أدولف هتلر » ، وهو حلُّ الإبادة ، وإفناء هذا العنصر البشري بسبب خطورته التاريخية على الجنس الإنساني ، وفكره ومعتقداته واجتماعياته و . . . و . . . الخ .

ولقد استمرت السيطرة اليهودية على « يثرب » مدىً

طويلاً ، قبل الإسلام ؛ وفي جاهلية العرب ؛ فلما أضاءت بنور الحق ، وطلع البَدْر المحمدي عليها ، انجابت عن آفاقها غياهب الظُّلم والظلام ، وانكفأتْ إلى الأبد .

(د) ـ قبائلُهُم وزعماؤهم

(١) [بنُو قَيْنُقَاع] ـ بفتْح القاف وتسكين الياء وضمِّ النون ـ وهُوَ الأشهر ؛ كانوا أَشْجَعَ اليهود وأكثرهم بأْسَاً ومراساً ، وأوفرهم مالاً وغنى ، وأشدهم حقداً على الإسلام والمسلمين ، وكانوا صاغةً يعملون في صناعة الحليّ والزينة ، يسكنون في مكان يدعى « طحان » مما يلي « العالية » وهما ضاحيتان من ضواحي المدينة .

وكان حليفُهُم حتى حين إجلائهم « عُبادة بن الصّامت » الصحابي الأنصاريُّ ـ رضي الله عنه ـ ؛ كما كان حليفهم أيضاً « عبد الله بن أُبيّ بن سلول » رأس النِّفاق في المدِينة .

أما «عبادة » ـ رضي الله عنه ـ فقد تبرّأ منهم حين نقضوا العهْد ، وأما « ابن سلول » فقد ظلَّ على ولائه لهُم .

(٢) [بَنُو النَّضِير] ـ جاء في كتب السيرة أنهم :

[قبيلة كبيرةٌ من اليهود ، ينسبون إلى « هارون » أخي « موسى » عليهما السلام ؛ سكنوا مع العرب ودخلوا فيهم] .

وكان أشْهر زعمائهم « حُيَيُّ بنُ أَخْطَب »[1] ، و « سلاّم بن مشْكم » و « كنانة بن صويراء » ، و « سلاّم بن أبي الحُقَيْق » و « كنانة بن الربيع » .

وكانت مساكنهم من ناحية عوالي المدينة عند « قُباء » ؛ وكانوا أهل زرْعٍ وأصحاب أرضٍ ، وكان لهُم بساتيْن من نخيلٍ أجود ما عرفت بساتين المدينة ، أحدهما يُسَمّىٰ : « العجْوة » ، والآخر : « اللّبن » .

وكانوا يحالفون قبيلة « غطفان » ، إحدى القبائل العربية الكبرى ، التي كانت تقيم في وادٍ بيْن المدينة و « خيْبر » .

وأما من أهل المدينة ، فقد كان حليفهم ونصيرهم « عبد الله بن أُبيّ بن سلول » ؛ العدوّ اللدود للإسلام ، ولِلنَّبيِّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ ؛

(٣) [بَنُو قُرَيْظَةَ] ـ بضمّ القاف وفَتْح الراء وتسكين الياء ـ وهم إحدى قبائل اليهود الثلاث التي كانت تقيم في إحدى ضواحي المدينة أيْضاً ؛ وهي أبعد من مساكن « بني قينقاع » و « بني النّضير » .

وَأَشْهَـرُ زعمائهم « كعْب بن أسـد » ؛ و « عمرو بن

(١) والد « صفيّة » أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ

سعدى » و« شاس بن قيس » . ومن حلفائهم « أُسَيْد بن خُضَيْر » ـ ، و« بشير بن عبد المنذر » ـ و« أبي لُبابة » و« سعد ابن مُعَاذٍ » ـ رضي الله عنهم ـ .

(هـ) ـ ملاحظاتٌ لا بُدَّ مِنْهَا

أوَّلاً : تواجد الطوائف اليهودية الثلاث في الضواحي .
ثانياً : إقامتهم في أحياء مسوّرةٍ محصّنة .
ثالثاً : تفرّقهم واستقلالية كل طائفة منهم عن الأخرى .
رابعاً : الصبغة العربية لبعض أسمائهم .
خامساً : محالفاتهم وموالاتهم لبعض كبار الشخصيات من الأنصار ، من صحابة رسول الله « ﷺ » ، أو القبائل .

أما من ناحية الملاحظة الأُولى ، وهي عُزلة الطائفة عن المجتمع الذي تحيا معه ، وفي مكانٍ قصيٍّ !!! فإن عبارة « حارة اليهود » أو « الحيّ اليهودي » المتعارف عليها في عصورنا المُتأخرة تعبِّر أصدق تعبير عن استمراريَّة الأعتزال والتقَوْقع وطلب الأمان ، التي رافقت بني اسرائيل على مرّ التاريخ .

صحيحٌ أنَّ الأقليَّات في بلدٍ ما أو وطنٍ ما تحاول دائماً أن تكونَ متميّزة الطابع الحياتيّ ، لكنها مع مرور الزمن تتأقلم

وتــذوب وتتـلاشى في خضم المجتمــع الكبيـر ، عــدا اليهود . . . ، فإنهم يحرصُون كلّ الحرص أن يظل تميّزهم قائماً ومستمراً .

وتختلف إقامتهم وسُكناهم ما بيْن الضواحي أو في قلْب المدن ، حسب مقتضيات الضرورة الأمنيّة .

وهذه الجزئية من الملاحظة تتصل اتصالاً وثيقاً بما بعدها ، وهـي الملاحظة الثانية التي تتحدث عن إقامتهم في احياء مسوَّرة محصّنة ؛ ومردُّ ذلك ولا شك الشعور بالخوف ! ! !

لقد جاؤوا شبه الجزيرة العربية هاربين ، وأمْعنوا بُعْداً في قلْب الصَّحْراء حتى لا تطالهم يد « نَبُوخِذْ نَصّر » . . ، ثم لمّا اطمأنّوا قليلاً أقاموا ولكن في قُرىً محصّنة . . . ،

إذاً . . . فالْخَوْف لديْهم ليس شعوراً عارضاً ولكنـه أصيل ؛ ومتمكّن من نفوسهم التي جُبلتْ على الجبانة .

وأما الملاحظة الثالثة وهي تفرّقُهُم واستقلاليّة كل طائفةٍ منهم عن الأخرى ، فإن الوقائع التاريخية ، السابقة واللاحقة ، سوف تؤكد لنا من غير جدلٍ ، ولا نقاش مبدأً قرآنياً دَمَغَهم وصوَّر حقيقتهم ، وهي قول الله تعالى : ﴿ **تحسبُهُم جميعاً وقلوبُهُم شتّى** ﴾[1] .

---

(١) سورة الحشر آية ١٤ .

ولسوْف نرى مصداقيّة القول الرباني الكريم حين نعرض لوقائع الغزوات التي انتهتْ بالقضاء على وجودهم في شبه الجزيرة العربية ، وإلى الأبد . . .

قد يظن ظانٌّ بأنّ الصبغة العربية لبعض أَسْمائهم إنما هي نتيجة دخول بعض العرب دين اليهودية ، لكن هذا لم يحدث مطلقاً ؛ وقد يكون السَّبَبُ فيه انغلاق اليهود على أنفسهم ورفضهم لأي عُنْصرٍ دخيلٍ عليهم ، فاليهودي عندهم ـ حقاً ـ من كانِ أبواهُ يهوديّان ؛ ولا شيء غير ذلك ـ اللهمّ إلا نادراً ـ أو يظنّ آخر بأنَّهم ، أي اليهود ، قد تَسَمُّوا بالأسماء العربيّة لأنهم اندمجوا في المجتمع العربي ، وهذا لم يحدث أيضاً !!!

إذاً . . . من أيْن جاءَتْ التَسْمِيَة ؟

جاءَت من الممالأة والمصانعة والمداهنة . . . ، وهو باب واسع من أبواب النّفاق عُرف به اليهود ، وأتقنوه . . . ، خاصّة وأنَّهم يريدُون السيطرة والتسلُّط ، وبأيَّةَ وسيلة . . . ، فكانت الأسماء التي أطلقوها على بعض أبنائهم ومواليدهم أسماءَ كُبراء وعظماء من العرب ، أمثال : « كَعْب » و « أسد » و « سلّام » . . . وغيرها .

أمـا بـالنسبـة للمـلاحـظة الأخيـرة ، عن التحـالُف والموالاة . . . والحوار ، فقد كانت عادةً عربيّةً جاهليّة يأْمن بها

الغريب القادم على نَفْسه وماله وأهله ، إن هُوَ دَخَلَ في حِلْف أو جوار واحدٍ من أهل البلد . . .

وكان اليهودُ الغرباء ، الفارين من براثن السَّبْي والتشريد ، الخائفين على أنفسهم وأموالهم . . . أحرص الناس على الاستفادة من هذا العُرْف العربي الجاهلي واستغلالِهِ لمصلحتهم .

ورغم أنهم استوطنوا وأقاموا ، ثم سادوا وتسلّطوا . . . ، فإن الشعور بالغربة والجبانة ظلّا عاملَيْن أساسيين يحكمانِ تصرفاتهم وصِلاتِهم .

(و) - الإسلام ، و . . .
الهجرة . . . ، و . . . العهد

ظلت حال اليهود في شبه الجزيرة العربية على الصورة التي أسلفنا ، طوال قرونٍ عدة ، حتى أَذِنَ الله تعالى بالتغيير .

ولقد كان ظهور الإسلام العامل الحاسم في الانقلاب الشامل الذي أَلَمَّ بـ « يثرب » - أوّلاً - ، ثم نقلها نقلةً تاريخية هائلة ، اعتُبِرتْ من بعدها محضن الدعوة ومنطلقها إلى العالم ، وأضحى إسم « المدينة » علماً شامخاً تطل شمسه الساطعة بالحق والهُدى على الدنيا بأسرها .

جاء في « مختصر السيرة النبوية » لابن كثير :

[قال ابن اسحٰق : فلما أراد الله إظهار دينه وإعزاز نبيه ، وإنجاز موعده له ، خرج رسول الله « ﷺ » في الموسم الذي لقيه فيه النّفر من الأنصار ، فعرض نفسه على قبائل العرب ، كما كان يصنع في كل موسم .

فبينا هو عند « العقبة » لقي رهطاً من « الخزرج » أراد الله بهم خيراً . فحدّثني عاصم عن عمرو بن قتادة عن أشياخٍ من قومه قالوا : لمّا لقيهم رسُول الله « ﷺ » قال لهم : (من أنتم ؟ قالوا : نفر من الخزرج ؛ قال : أَمِنْ موالي يهود ؟ قالوا : نعم . قال : أفلا تجلسون أكلمكم ؟ قالوا : بلى .

فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . فلما كلّم رسُولُ الله « ﷺ » أولئك النفر ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم لبعضٍ : يا قوم تعلمون ـ والله ـ انه النبيّ الذي توعّدكم به يهود ، فلا يسبقَنّكم إليه .

فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدَّقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ، وقالوا : إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشّر ما بينهم وعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم فندعُوهُم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعزّ منك .

ثم انصرفوا راجعين إلى بلادهم ، قد آمنوا وصدَّقوا .

قال ابن اسحٰق : وهم فيما ذُكر لي ستّة نفر كلهم من الخزرج ، وهم : أبو أمامة ـ أسعد بن زُرارة ـ ، وأبو الهيْثم بن التيِّهان ، وعوف بن الحارث ، ورافع بن مالك ، وقطبة بن عامر ، وعقبة بن عامر ؛]

هكذا كانت بداية إسلام الأنصار من أهل المدينة .

وإن في الواقعة أموراً تستدعي التوقُّف والتأمُّل والمراجعة . . . ، لما لها من وثيق الصِّلة بموضوع البحث .

أوّلها قوله (عليه الصلاة والسلام) لهم : [أَمِنْ موالي يهود ؟] مما يشير صراحةً إلى السلطان اليهودي في « يثرب » ، فكأن أهلها من « الأوس » و « الخزرج » يتعايشون تحت ظلّ الموالاة لليهود ، وفي حمايتهم ، وهذا هو الواقع التاريخي المرير !!!

وثانيها قول بعضهم لبعض : [يا قوم تعلمون والله إنه النبي الذي توعَّدكم به يهود فلا يسبقُنَّكُم إليهْ] .

إذ كان اليهود من أهل المدينة لا يفتأون يردّدون عن ظهور نبيٍّ منتظرٍ من العرب ، ويحدّدون صفاتَهُ . . . ، وغيْر ذلك .

ولقد كان عربُ « يثرب » من « الأوس » و « الخزرج » يسمعون ذلك كثيراً ، فلا يعونه ولا يدركُونَ أبعاده ومراميه ومغانيه ، إذ شغلتْهُم جاهليتهم وحروبهم عن التفكير والتدبير ،

اللهمّ إلّا نفر قليل لا يتعدون في العدد أصابع اليد الواحدة .

وثالث تلك الأمور ، قول رهْط الأنصار : [إنّا تركْنا قومَنا ولا قوم بينهم من العداوة والشّر ما بينهم ، وعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعزَّ منك] .

ففي هذه المقالة يقظةُ حسٍّ وضمير ، وتفتُّح وَعْيٍ . . . ، وبداية تطوُّرٍ وتغيُّر ، وإيذانٌ بانبلاج فجْر جديد . . !

ونعودُ إلى متابعة الأحداث . . . ، حيثُ تتمُّ معالم التَّخَلُّق الجديد لطائفة الأنصار ، وإرهاصاتُ النقْلة التاريخية ، التي حوَّلت مجرى الزمن ، ألا وهي الهجرة !!!

وفي الأحداث ـ دائماً ـ ما فيها من صلةٍ مباشرَةٍ بالوجود اليهودي في المدينة أو غير مباشرة .

فبعد اللقاء التمهيدي الأول الذي تَمَّ بين رسول الله « ﷺ » وبين الطليعة من أهل يثرب ، حدث اللقاء الثاني ، فكان أَوْسع وأعمق وأوْثق .

يقول « ابن كثير » في « مختصر السيرة »[1] .

---

(١) (ص ١٣٦) .

[ثم قال ابن اسحق : عن مَعْبَد عن عبد الله عن أبيه كعب بن مالك - (رضي الله عنه) - :

فلما اجتمعنا في الشِّعب ننتظر رسُول الله « ﷺ » حتى جاءنا ومعه « العباس بن عبد المطلب » ، وهو يومئذٍ على دين قومه إلّا أنّه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ، ويتوثّق له .

فلما جلس كان أوّل متكلّم « العباس بن عبد المطلب » فقال : يا معشر الخزرج (وكانت العرب إنما يسمّون هذا الحي من الأنصار (الخزرج) ، خزرجها وأوْسها) إن محمداً - « ﷺ » - منّا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممَّنْ هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عزّةٍ من قومه ومنعةٍ في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم ، فإن كنتم تروْن أنكم مُسْلموهُ وخاذلوه بعد الخزرج إليكم فمن الآن فدعوه ، فإنه في عزَةٍ ومنعَةٍ من قومه وبلده .

فقلنا له : قد سمعْنا ما قُلتَ فتكلّم أنت يا رسول الله فَخُذْ لنفسك ولربِّك ما أحبَبْتَ .

فتكلَّم رسول الله « ﷺ » فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغّب في الإسلام ؛ قال : (أُبَايعكُم على أن تمنعُوني ممّا تمنعُون مِنْهُ نساءَكُمْ وأبناءَكُمْ) . فأخذ « البراءُ بن مغرورٍ » بيده وقال : نعم ، فوَالّذي بعثك بالحق لنمنعنّك مما نمنع منه أُزُرنا[1] ،

---

(١) أي نساءنا .

فبايعْنا يا رسول الله ، فنحنُ والله أبناءُ الحروب ورثْناها كابراً عن كابر .

فآعترض القول ـ والبراءُ يكلم رسُول الله « ﷺ » ـ « أبو الهيْثم بن التَّيِّهان » فقال : يا رسول الله إنّ بيْننا وبيْن الرِّجال (أي اليهود) حبالاً وإنّا قاطعوها ، فهل عسيْتَ إن فعلْنا ذلك ثم أظْهرك الله أن ترجع إلى قومك وتَدَعنا ؟ فتبسَّم رسول الله « ﷺ » ثم قال : (بل الدَّمَ الدَّم والهدْم الهدْم ، أنا منكُم وأنتُم منّي ، أُحاربُ مَنْ حاربتُم وأُسالم من سالمتُم) .

ثم قال : (أخرجوا إليَّ منكم اثنيْ عشر نقيباً يكونون على قومهم بما فيهم)] .

ونلاحظُ من خلال مجريات أحداث بيعة العقبة الثانية ، ونُصُوص الأقوال المتبادلة ، أن هناك مفاهيم معيَّنة تتعلَّق بالوجود اليهودي في المدينة ، وقواعد التعامُل معه ، كانت تسيطر على صيغة التعايُش ، وأن هذا الوجود كانت لـه السُّلْطة والسيطرة من ناحية ، والرهبة في صدور القوم من ناحيةٍ ثانية .

وكذلك نلاحظ بارقةً من ملامح المستقبل ؛ خطرت عفْواً على الألْسنة ، وهي تصوُّر الإنفصام المحتّم ، ونقْض العهود والمواثيق .

وقد يرى البعضُ من الدارسين والمحققين شبهةً في قول

« أبي الهيثم بن التيِّهان » : (إن بيْننا وبيْن الرجال حبالاً وإنا قاطعوها !!!) ، وذلك في ردِّ الرسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ : (بل الدَّمَ الدَّم والهدْم الهدْم) .

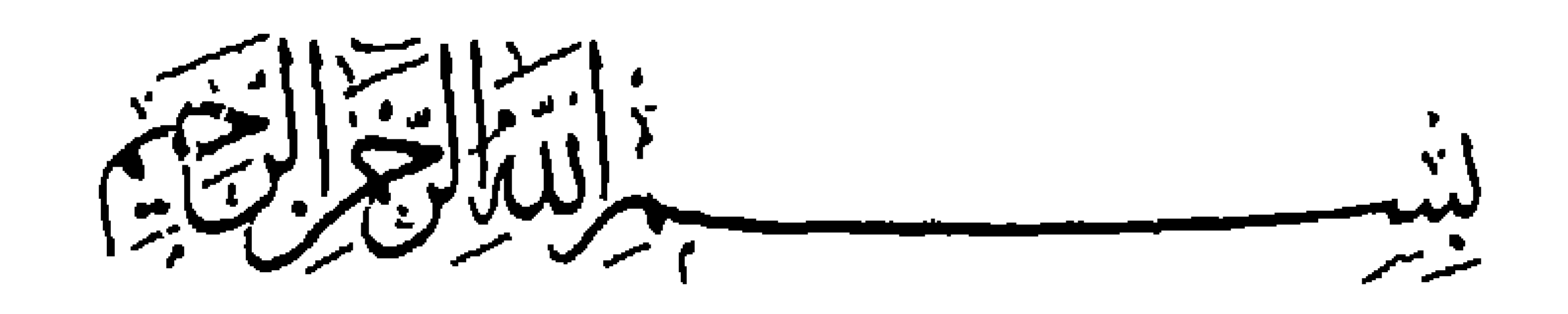
قد يروْن في ذلك إنذاراً مبكِّراً بإعلانِ الحرْب على يهود ، بدأه المسلمون من غير سببٍ ولا داعٍ .

لكن التحقيق الواعي ، غير المتحيّز ، لا ينسى قوْل النبيِّ « ﷺ » : (. . . وأُسالم مَنْ سالمتُم) ؛ ذلك أن التعايش السلميَّ ، وفق الأصول والقواعد ، أساس من أُسُس الإسلام ، وأما الحرْب فاستثناءٌ عند الضرورة الملجئة . وأما موضوع الإثنيْ عشر نقيباً فهي عمليَّةٌ تَنْظيميَّة لها جذورها التاريخية تستهدف فيما تستهدف ـ والله أعلم ـ إحياء ما مات في الحسِّ اليهودي ، أو تماوت ، عن نبوَّة « موسى » ـ عليه السلام ـ ثم الانحراف بالعقيدة والشريعة انحرافاً إشراكياً رهيباً . . . ، وصل ببني اسرائيل الى ما وصلوا إليه من ضلالةٍ وكُفْر .

فالنُّقباءُ الإثني عشر سوف يتحدّثون عن هذا الاختيار التنظيمي في « يثرب » ، ولسوْف تتناقله الألْسنة ، فيشيع وينتشر ؛ وهو غير معهودٍ ولا معروفٍ من قَبْل ، إلّا عند اليهود ، وفي بطون كُتُبهم التي لا يظهرون منها إلا ما يوافق رغبات نفوسهم المريضة وأهوائهم الجامحة . . . ، ولسوْف يُدْركون الأبعاد التاريخية لجذور الدعوة المحمدية الجديدة ، وأنها دعوة

الحنيفيَّة المتأصِّلة من لدُن « إبراهيم » ـ عليه السلام ـ ، وأن الدّين عند الله الإسلام .

ولسوْف تكونُ النَّقلة الإسلامية للدعوة ، من مكة الى المدينة ، عمليّة مواجهةٍ عقيديّة ، تحفل بها الآيات القرآنية المتنزلة على قلب الرسول « ﷺ » ، والتي تتحدَّث بكثيرٍ من التوضيح والتَّصْحيح عن المَسار التاريخي لبني اسرائيل .



قال تعالى :

﴿ إلا تَنْصُروهُ فقد نَصَرَهُ اللَّهُ إذْ أخْرَجَهُ الّذين كَفَروا ثانِيَ آثنيْن إذْ هُما في الغار إذْ يقُول لصاحِبِه لا تَحْزَنْ إنَّ اللَّهَ معنا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عليْهِ وأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لمْ تَرَوْها وجَعَل كلمة الذين كفروا السُّفْلَى وكَلِمَةُ اللَّهِ هي العُلْيَا واللَّهُ عَزِيزٌ حكيم ﴾[1] .

---

(١) سورة التوبة (٤٠) .

ثم كانت الهجرة . . .

وتُعْتبر من حيْث موقعها الزمني كمفْصلٍ تاريخيٍّ بالنسبة للدعوة الإسلامية ، عاملاً حاسماً ؛ فما التأْريخ بها كحدثٍ واعتمادها كمبدأٍ في زمن خلافة سيِّدنا أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » ـ رضي الله عنه ـ إلا دليلاً بيّناً على ذلك .

ونحن لن نعرض لفصولها ومراحلها ، وما رافق ذلك من أحداث جسام ، سواء في مكة نفسها ، أو في غار « ثوْر » حيث اختبأَ النبيُّ « ﷺ » وصاحبه الصدِّيق ـ رضوان الله عليه ـ ، أو في الطريق الطويل الشاقّ الى المدينة . . . ، أو بلوغِهِ « عليه السلام » قُباء . . . وطلوعه على الناس من ثنيَّة الوداع . . . ؛ لأنّ موضوع ذلك كُلِّهِ له مجالٌ آخر ، وميدانٌ خاص .

بل نعرضُ لها من حيثُ اتصالها بموضوع البحث ، إذ بدأتْ بها المواجهة الفعْليّة مع الوجود اليهوديّ في « يثرب » وفي « خَيْبر » . . . وفي كُلِّ مكانٍ .

ويتحدث أكثر المؤرخين في كُتُبهم وآثارهم أن اليهود كانوا أسباطاً ثلاثة بالنسبة للتطوُّر الجديد والواقع الحاصل ، [من إسلام الأنصار وهجرة المختار ـ عليه السلام ـ] .

فطائفةٌ منهم ، وهُم الأكثر والأعظم نفوذاً ، كانوا في

آئتمارٍ دائم ، وتشاورٍ متّصل ، يغلي في قلوبهم الحقْد ، ويفري في أكبادهم الحسد .

وطائفةٌ قليلةٌ كانت ترقُب وتنتظر . . .

والأقلُّ من القليل كانوا في تساوُقٍ مع الأصالة العقيدية ، وآنسجامٍ مع الذات ، والرؤ ية الصادقة ، والوجدان الدينيّ الحيّ ؛ ومن هؤلاء : « عبد الله بن سلام » .

يروي الإمام « أحمد » فيقول : [حدثنا محمد بن جعفر ، حدّثنا عوْف ، عن زُرارة ، عن عبد الله بن سَلاّم قال :

(لما قدم رسُول الله « ﷺ » المدينة انجفل[1] الناس ، فكُنْت فيمن انجفل ، فلمّا تبيّنْت وجهه [عليه السلام] عرفتُ أنّه ليْس بوجْهِ كذّاب ، فكان أوّل شيءٍ سمعته يقول : « أفْشوا السَّلام ، وأَطعموا الطعام ، وصلُّوا باللَّيْل والناس نيام ، تدخلُوا الجنّة بسلام »)] .

[وفي سياق البخاري من طريق عبد العزيز عن أنسٍ قال : (فلما جاء النبيُّ « ﷺ » جاء « عبد الله بن سلام » فقال : أشهد أنَّك رسُول الله وأنَّك جئْت بحقّ ، وقد علمتْ يهود أنّي سيّدهم وابنُ سيِّدهم ، وأَعْلمهم وابنُ أعلمهم ، فآدْعُهُم فَسَلْهُم

(١) انجفل الناس : انقلعوا ومضوا .

عنّي قبل أن يعلموا أني أسلمْت ، فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمتُ ، قالُوا فيَّ ما ليس فيَّ .

فأرسل نبيُّ الله « ﷺ » إلى اليهود ، فدخلوا عليه ، فقال لهم : « يا معْشَرَ اليهود ويْلكم اتّقوا الله ، فواللَّه الذي لا إلٰه إلاّ هو إنَّكُم لتعلمُون أني رسول الله حقّاً . . . ، وأنّي جئتُكُم بحقٍّ فأَسْلموا » قالوا : ماَ نَعْلَمُه .

قال : « فأيِّ رجُل فيكم « عبد الله بن سلام » ؟ » .

قالوا : ذلك سيدنا وابن سيدنا ، وأعلمنا وابن أعلمنا .

قال : « أَفَرَأَيْتُم إن أَسْلَمَ » ؟

قالوا : حاش لِلَّه ، ما كان ليُسْلم .

قال : « يا آبْن سلام ، أُخْرُج عليْهم » .

فخرج فقال : يا معشر يهود اتّقوا الله ، فوالله الذي لا إلٰه إلاّ هُو إنّكُم لتعلمون أنّه رسول الله وأنه جاء بالحق ! !

فقالوا : كذبْتَ .

فأخرجهم رسولُ الله صلى الله عليـه وسلم »] .

وإسْلام « عبد الله بن سلام » ـ رضي الله عنه ـ رغم أنه صورةٌ فرديّة ، إلا أنها تُوحي بكثيرٍ من المعاني ، لأنّه بشهادتهم سيّد من سادتهم ، وعالمٌ من علمائهم ، ولأنه استخدم أُسْلوباً مُفْحماً في المواجهة ، ولأنّه ذكرهُم بما نَسُوا أو تناسوا ، ولأَنَّهُ كشفهم منذ اليوم الأوّل .

أولئك الذين آفْتروا وضلُّوا وعاندوا . . . ، وقد كانوا بيَّتُوا من قَبْلُ العداوة والبغضاء ؛ وهم يعْلمون أنّه الحق .

وتحضُرُني صورة لا بُدَّ من إيرادها ، لأن فيها الدلالة على أن « يثرب » ـ المدينة ـ كانت كُلّها بانتظار قدوم النبيّ « ﷺ » إليْها . . . حتى اليهود ! ! !

يقول « ابن كثير » في « مختصر السيرة » :

[وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله « ﷺ » من مكّة ، فكانوا يغْدون كُلّ غداة إلى الحرَّة فينتظرونه حتى يردُّهم حرُّ الظهيرة .

فانقلبوا يوْماً بعدما أطالوا انتظارهم ، فلما أتوا إلى بيوتهم أوْفى رجُلٌ من اليهود الى أُطُمٍ[1] من آطامهم لأمْر ينْظُرُ إليْه ، فبَصّر برسول الله « ﷺ » وأصحابه مُبيضين[2] ، يزول بهم السراب ، فلم يملك اليهوديُّ أنْ قال بأعْلى صَوْتِهِ :

ـ يا معْشر العرب . . . هذا جدُّكُم الذي تنتظرون .

فثار المسلمون إلى السلاح ، فتلقُّوا رسول الله « ﷺ » بظَهْر الحرَّة ، فعَدَل بهم ذات اليمين ، حتى نزل بهم في « بني عمرو بن عوْف » ، وذلك يوم الاثنيْن من شهر ربيعٍ الأوّل] .

(١) الأطْم : الحصْن .
(٢) أي عليهم الثياب البيض .

وكان العهْد . . .

جاء في « مختصر السيرة » لابن كثير[1] :

[وقال محمد بن اسحٰق : كتب رسُولُ الله « ﷺ » كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادَعَ فيه اليهود وعاهدهم وأقَرَّهم على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم ، وشرط لهم] .

وحتى لا يكون قول ابن اسحٰق : (وأقَرَّهم على دينهم) مَبْعث ريبةٍ وشك ، أوْ مدْعاة فهمٍ خاطىء ، بأَنَّ الإقرار على الدين رضىً بِه ، نُبَادِرُ القوْل بأن ذلك إنما هُو من قبيل المبدأ الحاسم والحدّ الفاصل ، إنطلاقاً من قول الله تعالى : ﴿ قُلْ يا أيها الكافرون لا أعبُدُ ما تعبُدُونَ ولا أنتم عابدون ما أعبدَ ولا أنا عابدٌ ما عبدْتُم ولا أنتُم عابدون ما أعبدُ لكُم دينُكُم ولِيَ دين ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ لا إكراهَ في الدين قد تبيَّن الرُّشْدُ من الغيّ ﴾ .

ويتابع « ابن اسحٰق » بعد ذلك سَرْد كتاب العهْد بتفاصيله وبنوده ؛ والذي يهمّنا منه المقتطفات الخاصّة باليهود ؛ فيقول (عليه السلام) :

[.وإنّه مَنْ تبعنا من يهود فإنّ له النَّصْر والأُسوة غير مظلومين ولا مُتناصَرٍ عليهم . . .]

---

(١) (ص - ١٧٨) .

[وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يهود بني عوْف أُمّة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، إلاّ من ظَلَم وأثم فإنّه لا يوقَع إلا نفسه وأهله .

وإن ليهود بني النّجار وبني الحارث وبني ساعدة وبني جُشم وبني الأَوْس وبني ثعلبة وجفْنة وبني الشُّطَيْبة مثل ما ليهود بني عَوْف ، وإن بطانة يهودٍ كأنفسهم ، وإنه لا يخرُج منهم أحد إلاّ بإذْنِ « محمد » - ﷺ - ، ولا ينحجز على ثأر جرح ، وإنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيْته ، إلا من ظلم ، وإن الله على أبرِّ هذا .

وإن علي اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتُهُم ، وإن بينهم النَّصْر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم النُّصْح والنصيحة والْبِرَّ دون الإثْم ، وإنه لم يأْثم امرؤٌ بحليفه ، وإن النّصر للمظلوم ، وإن « يثرب » حرامٌ جوْفها لأهل هذه الصحيفة ، وإن الجار كالنّفس غير مُضَارٍّ ولا آثم ، وإنه لا تُجَارُ حُرْمَةٌ إلاّ بإذْن أهلها .

وإنّه ما كان بيْن أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يُخاف فسادُهُ فإنّ مردَّه إلى الله وإلى محمد رسُول الله ، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرِّه ، وإنّه لا تُجارُ قريش ولا من نَصَرها .

وإن بينهم النَّصر على من دَهَمَ يثرب ، وإذا دُعُوا إلى صُلْح يُصالحونه ويلبسونه فإنهم يُصالحونه ، وأنهم إذا دُعُوا إلى مثل ذلك فإنّ لهم ما على المؤمنين ، إلاّ من حارب في الدين ، على كُلّ أُناسٍ حصتُهُم من جانبهم الذي قِبَلَهم .

وإنّه لا يحُول هذا الكتاب دون ظالمٍ أو آثم ، وإنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة ، إلا من ظلم أو أَثِمَ ، وإن الله جارٌ لمن بَرَّ واتّقَى] .

هذا الكتابُ الوثيقة ، أو الصحيفة كما درج على تسميتها المؤرخون ، ليستْ صُلْحاً بيْن المسلمين واليهود ، وإنّما هي عَهْد تعايُش وميثاق تآلُفٍ وتَعاوُن . . . .

والملاحظ أنَّها حفظَتْ كُلّ الحقوق لليهود ، المادِّية والنفسية والدينية وغيرها ؛ كما ضمنت حقّ المسلمين أيضاً .

وقد حظيتْ بموافقة اليهود وتقبُّلهم لها ، وتوقيعهم عليها ؛ ثم التعايُش على أساسها ، ووفْق معطياتِ بنودها وموادِّها سلْباً وإيجاباً .

كما سلّموا بقيادة النبيِّ « ﷺ » ، وكوْنه المرْجع والْحَكَم .

ولا نظنُّنا نعدو الحقيقة التاريخيَّة إذا ما قُلْنا بأنَّ الموافقة

اليهودية التي تَمَّتْ إنما كانَتْ وقتيَّةً ظرفيَّة تخضع لعامل التسليم المؤقَّت ريْثما تسنح الظروف بالنَّقْض والْغَدْر !!!

فلقد دُوهم اليهودُ في « يثْرب » بتغييرٍ جذريّ لكُلِّ الأنماط ، في العقيدة والحياة ، ولم يكونوا يتوقّعُوا ذلك . . . ، فالمفاجأةُ الإنْقلابِيَّة أربكتْهم وعطّلت عليهم استمراريَّةً في المسيرة التي أَلِفُوها رِدْحاً طويلاً ، فكان لا بُدَّ من الرضوخ ولو ظاهراً حتّى يسْتعيدوا مواقعهم التي زُحْزِحُوا عنها .

كما أننا لا نعدو الحقيقة التاريخية إذا ما قُلْنا بأن الرسول الأعظم « ﷺ » كان على وَعْي وثقة بأَنَّ الغدْر اليهوديَّ آتٍ لا محالة ، لكنّ الرسالة والنبُوّة تفترض صيغة تعايُشٍ ـ مثل صيغة الصحيفة ـ تقوم على الحقوق والواجبات ، وتفترض من جانبٍ آخر الحرص والحذر . . . وهذا ما كان عليه النبيُّ (عليه السلام) ، وأُثر عَنْه ، وصدَّقته الأحداث .

الفصل الثاني

(أ) غزْوَةُ « بني قَيْنُقاع »

(١) الأسباب (٢) الوقائع (٣) المستخلصات .

١ ـ الأسباب ·

لما كانت وقعة « بَدْرٍ الكبرى » أَظْهر يهودُ « بني قَيْنُقَاع » البغْي والحسد ونبذوا العهْد الذي بينهم وبين رسُول الله « ﷺ » ، فكانَتْ أقوالهم وأحاديثهم وتصرُّفاتُهُم توحي بذلك وتدُلُّ عليه ، ولكنَّهم لم يُبـادُوا المسلمين بحرْبٍ مكشوفة ، أو اعتداءٍ ظاهرٍ على الأقلّ يُتَرْجِمُ نواياهم ويفضح خباياهم ، حتى كان يَوْمُهُم . . .

إذ جاءت امرأةٌ مسلمة من أعراب البادية ، تقيم مع زوجها الأنصاريّ في ضاحيةٍ من ضواحي المدينة ، بجلبٍ لها ، وهو ما يُجلب ليُباع من إبلٍ وغنم وغيرهما ، فباعتْه في سوق « بني قينُقَاع » . . .

وكانت ترغبُ في شراء بعض الحليِّ والزينة ، فقصدت سوق الصاغة ، وجلست إلى صائغٍ منهم تُساومُه . . .

كان الحجابُ قد فُرِضَ على المسلمات ، فكانت هذه المرأة المسلمة تُغطِّي وجْهها ، وتُرخي ذَيْل ثَوْبها ، فتكأْكأ عليها نفر من اليهود عند الصائغ ، وراحوا يراودونها أنْ تُسفر عن وجْهها ، فأبَتْ واستمسكتْ ؛

وكان الصائِغُ متواطئاً مع عُصبة الضالّين المضلّين ، ومحرِّضاً لهم على السوء ؛ وحيث لم تُفلح الأقوال في إقناع المرأة . . . عمد الصائغ إلى طرف ثوبها ، في غفلة عنها ، فعقده إلى ظهرها . . . ، فلما قامت منصرفةً إنكشفت سوْأتها . . . فتضاحكوا وصخبوا . . . ، ثم صاحت مُسْتَنجدةً ، فوثب رجُلٌ من المسلمين ، صادف وجوده هناك ، على الصائغ فقتله ، وردَّ اليهودُ الحاضرون الهجمة على المسلم فقضُوا عليْه ، فاستصْرخ أهلِ المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون وتواثبوا من كل جهةٍ . . .

وبلغ الخبر النبيَّ « ﷺ » فقال : [ما على هذا أقْرزْناهم] .

وقَبْل أنْ ننتقل إلى سرد وقائع المعركة مع « بني قَيْنُقَاع » نتوقف قليلاً عند قول النبي « ﷺ » : [ما على هذا

أقرَرْنَاهم] ؛ لأنّه يتضمّن الإيذان بفَكّ الإرتباط معهم ، إذْ نقضوا العهد الذي كان بيهم وبين المسلمين ، وأَعْلَنُوا العداوة ، وكانوا البادئين في الخصومة .

٢ ـ الوقائع

لم يخُض النبيُّ « ﷺ » قتالاً مع « بني قينُقَاع » بادىء ذي بـدْء ، بل أرسل إليهم يقول : [يا معشر يهود إحذروا من الله مثْل ما نَزَلَ بقريْش من النقْمة(١) وأَسْلموا فإنَّكُم قد عرفْتُم أنّي مُرْسل ، تجدون ذلك في كتابكم ، وعهد الله تعالى إليكم بِهِ] .

وذلك تمشّياً مع القواعد الإسلامية الثابتـة والأصول الراسخة في الدعوة إلى الإسلام أوّلاً . . . ، فإذا اختاروا الرفْض وامتنعوا عن الاستجابة كانوا الجناة على أنفسهم ، وقد أعذر من أَنذر ! !

فماذا كان جوابُ « بني قَيْنُقَاع » ؟

كان جوابهم ينْضح غروراً وجَهْلاً ، وَصَلَفاً واعتداداً ، وبُغْضاً وكُرْهاً . . . . **﴿ قَدْ بَدَتِ البغضاء من أفواهِهِم وما تُخْفي صدورهم أَكْبَرُ ﴾**(٢) .

---

(١) يذكُرهم (عليه السلام) بيوم بدْرٍ ، وما أصاب قريْشاً من الهزيمة والخزي والذُّل

(٢) سورة آل عمران ، آية ١١٨ .

لقد قالوا :

ـ يا « محمد » إنْك ترى أنّا قَوْمُكَ ؟! فلا يغرَّنَّكَ أنَّكَ لقيت قَوْماً لا عِلْمَ لهُم بالحرْب فأصبْتَ منهم فُرْصةً ، إنّا ـ والله ـ لو حاربْناك لَتعْلَمَنَّ أَنَّا نحنُ الناس .

كـان هذا ردُّهم ، وتلْك سفـاهتُهُم ، ظنّاً منهم أنَّ « محمداً » ـ ﷺ ـ والمسلمين لن يجرؤا على قتالهم ، فقد كانوا على حدِّ ما قال المؤرِّخون : [أشجع اليهود وأكثرهم أموالاً ، وأشدّهم بغْياً] .

ثم إن الله تعالى أنزل في شأْن الموقفْ آياتٍ بيّنَاتٍ تُعْتَبَرُ قواعد للتعامُل مع « بني قينُقاع » بالنسبة للموقف الطارىء ، أو مع غيرهم مُسْتَقْبلاً .

كانت أولى تلك الآيات قوله تعالى[1] : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا لا تتّخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضُهُم أولياءُ بعض ﴾

فكان من نتائجها أن أَعْلَنَ « عُبَادَةُ بنِ الصامت » ـ رضي الله عنه ـ براءته من موالاتهم والتحالُف معهم قائلاً : (أتولّى الله ورسُولَه ، وأبرأُ من خلْف هؤلاء الكفّار) .

لكن رأْس النفاق « عبد الله بن أُبيّ بن سَلُول » تَشبَّث

---

(١) سورة المائدة ، آية ٥١ .

بمُوالاتهم ، وتمسَّك بتحالفه معهم؛ ولقد كان له شَأْنٌ فيما آل إليه أمرُهُم في النهاية ؛ مما سوف نراه قريباً بإذن الله .

كما أنزل الله تعالى قوْله : ﴿ **قُلْ لِلَّذِين كفروا ستُغْلبُون وتُحشرون إلى جهنّم وبئْس المهاد ، قد كان لكم آية في فئتيْن الْتَقَتا . . .** ﴾[1] .

وأنزل سُبحانه - أيضاً - ﴿ **وإمّا تخافنَّ من قومٍ خيانةً فانْبذ إليهم على ســواء** ﴾[2] .

وبهذا كله حُسم أمر العلاقة مع « بني قينُقَاع » . . . ، فكان لا بُدّ من المواجهة ، فمـاذا فعلوا بعد أنْ تنمّـروا واستأسدوا ، وجالوا في القوْل الهُراء وصالوا ؟ ! لقد تَحَصَّنُوا في حُصُونهم . . !!

وفي هذا الصّدد يقول الله تعالى : ﴿ **وظنُّوا أنهم مَانِعَتُهُم حُصُونُهُم . . .** ﴾[3] .

وسار إليْهم رسُول الله « ﷺ » في أصْحَابِهِ ، وكان خروجُهُ (عليه السلام) في منتصف شهر شوّال ، السنة الثانية للهجرة ، فجعل على مقدّمة قواته « حمزة بن عبد المطلب » - رضي الله عنه - وبيده اللواء ؛ كما أقام على المدينة « أبا لُبابة

---

(١) سورة آل عمران ، آية ١٢ .
(٢) سورة الأنفال ، آية ٥٨ .
(٣) سورة الحشر ، آية ٢ .

الأنصاري » ـ بشير بن عبد المنذر ـ رضي الله عنه ، عاملاً .

وَضَرَبَ عليهم الحصار ، وَطَوَّقهم من كل ناحية لِيُضَيِّق عليهم المنافذ فلا يجدون بصيص أملٍ في النّجاة . . . ، واستمرَّ على ذلك خمسة عشر يوماً . . . ، وكانوا ـ كما تروي لنا كتب التاريخ ـ سبعمائة مُقاتل . . . ، أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع .

وبعد أن ألقى الله في قلوبهم الرُّعْب ، فاحْتموا داخل حصونهم . . . ، تسرَّب اليأْسُ إلى نفوسِهِم ، فَأَذْعَنوا لأمر النبيّ « ﷺ » ونزلوا عند حكمه واستسْلَمُوا فأمر بهم أن يُكتَّفوا . . . ، فكُتِّفوا .

ولما أراد ضرْب أعناقهم جزاءً بما قدمت أيديهم ، كلَّمه فيهم « عبد الله بن أُبيّ بن سلولٍ » مستشفعاً ، قائلاً : يا « محمد » أَحْسنْ في مواليَّ . . . ، وألحَّ عليه ، فأعرض عنه « ﷺ » ؛ فَأَدْخَلَ « ابن أُبَيٍّ » يَدَهُ في جيْب[1] درْع رسُولِ الله « ﷺ » من خَلْفِه ، فَقَال له (عليه السلام) : :

ـ ويْحك أَرْسِلْني . . .

وغضب رسُول الله « ﷺ » حتى رأوا لوجْهه سُمْرةً لِشِدَّة غَضبه ، ثم قال :

---

(١) الجيب : شق مبطّن بالثوب توضع فيه لوازم الشخص .

ـ ويْحك أَرْسِلْني . . .

فقال « ابن أُبيّ » :

ـ والله لا أرسلُكَ حتى تُحْسِنَ في مواليَّ ، فإنَّهُمْ أعزّتي وأنا امرؤٌ أخشى الدوائر ، وقد منعوني من الأحمر والأسْود ، وتحصُدُهم في غداةٍ واحدة !!!

فقال « ﷺ » :

ـ خلُّوهم . . . لعنهُ الله ولعنهم ،

وتركهُم من القتْل ، وقال لابن أُبَيّ :

ـ خُذْهم . . . لا بارك الله لك فيهم .

وإلى هذه الواقعة أشارت الآية الكريمة : ﴿ **فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعُون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دَائرة** ﴾[1] .

ثم أمر النبيُّ « ﷺ » بهم أن يُجلوا عن المدينة ، ووكل بإجلائهم « عُبادة بن الصامت » ـ رضي الله عنه ـ ، وأمهلهم ثلاثة أيام . . . ، لكنهم اضطروا إلى طلب زيادة المهلة ، فسألوا « عبادة » ذلك ، فقال لهم : ولا ساعة واحدة . . ! ؟

ثم ذهبوا إلى « أذرعات » ـ بلدة بالشام ـ، فلم يدُر عليهم الحوْل حتى هلكوا أجمعين وذلك بدعوته « ﷺ » عليهم ، حين قال لابن أُبيّ : [لا بارك الله لك فيهم . . .] .

---

(١) سورة المائدة ، آية ٥٢ .

٣ ـ المستخلصات

ونحبُّ أن نُشير إلى بعض المستخلصاتِ التي برزت من خلال الأحداث ، أو نتجتْ عنها ، لأن فيها الكثير من الثوابت والمعالم التي توضّح النفسية والعقلية اليهودية ، والتي من شأْنها ـ إذا ما دُرِسَتْ واعتُبِرَتْ ـ أن تُيسّر إلى حدٍّ كبيرٍ في وضع الاستراتيجية العربية المنشودة في الحرْب مع الصهيونية . . . ، فلا نبقى من ثمّ أسرى الوهْم والإنضباع . . ، أو أسرى الخداع والديماغوجية .

أوَّلاً : نقضوا العهد .

ثانياً : أعْلنوا الحرب .

ثالثاً : احتموا في حصونهم .

رابعاً : ألقى الله في قلوبهم الرُّعْب .

خامساً : أصابهم اليأْس .

سادساً : تخلّى عن نُصْرتهم « بنو النّضير » و« بنو قُرَيْظَة » .

سابعاً : نزولهم على حُكم النبيِّ « ﷺ » .

ثامناً : خروجهم من المدينة .

وفوق ذلك كُله ، وقبله ، أنَّهم إنما حُوربوا تحت شعارٍ محدّدٍ واضح ، لا عِوَجَ فيه ولا لَبْس ، هذا الشعار هو الإسلام . . . بكُلّ مُعطياتِهِ من الحق والقوّة والعدْل .

(ب) غزوةُ بني النَّضير

١ ـ الأسباب ٢ ـ الوقائع ٣ ـ المستخلصات

١ ـ الأسباب

سببُها أن « عامر بن الطُّفَيْل »[١] أَعْتَقَ « عمرو بن أُميَّة الضّمْريّ » ـ رضي الله عنه ـ ، وكان عِتْقُه إياه عن رقَبةٍ كانت على أُمِّه ، فخرجَ « عمرو » إلى المدينة ، فصادف في محلٍّ يُسمى : (القرقرة) ، رجُلَيْن من بني « عامر » ، فنزلا معه في ظِلٍّ كان هُو فيه ، وكان معهما عَقْد وعهدٌ من رسول الله « ﷺ » ، لم يشْعرِ به « عمرو » .

فقال لهما « عمرو » : مَنْ أنْتُما ؟

فذكرا له أنهما من بني « عامر » . . ، فتركهما حتى ناما فقتلهما ، وظنّ أنّه ظفر بثأر بعض أصحابِهِ الذين قُتلوا ببئْر معُونة .

وجاء وأخبر النبيّ « ﷺ » بذلك ، فقال له :

ـ [لقد قتلْتَ قتيلَيْن ، لأَدّيَنّهما[٢] . . .] .

ثم خرج النبيُّ « ﷺ » إلى « بني النّضير » ليستعين بهم

(١) سيد بني عامر في الجاهلية .

(٢) أي أُعطي ديتهما بسبب الجوار والعهْد .

في ديّة ذينك القتيلَيْن اللّذين قتلهما « عمرو » .

وكان بين « بني النضير » وبني « عامر » عقد وحلف ، فيسهل الدّفع منهم لكوْن المدفع لهم من حلفائهم .

فلما أتاهُم « عليه السلام » يستعينهم في ديّة القتيلَيْن ، قالوا :

ـ نعم ، يا « أبا القاسم » ، نعينك على ما أحببْت مما استعنْت بنا عليْه ، وقد آن لك أن تزورنا وأن تأْتينا . . . ، إجلس تطْعم وترجع بحاجتك ، ونقوم ونتشاور ونُصلح أمرنا فيما جئتنا به .

ثم خلا بعضُهم إلى بعض فقالوا : إنّكم لن تجدوه على مثل هذا الحال ، منفرداً ليس معه أحدٌ من أصحابه إلا نحو العشرة .

وكان « ﷺ » قاعداً إلى جنب دارٍ من بيوتهم ؛ فقالوا : مَنْ يعلو على هذا البيْت فيُلقي هذه الصّخْرة عليه فيقتُلُه ويريحنا منه ؟!

فانتُدب لذلك « عمرو بن جحاش بن كعب » فقال : أنا لذلك . . . ، فقال لهم « سلاّم بن مشْكم » أحد زعمائهم : لا تفعلوا . . . ، فوالله ليُخْبرنّ بما همَمْتُم به وإنّه لنقض للعهْد الذي بيننا وبيْنه . . . ، أطيعوني هذه المرّة وخالفوني الدهر . . .

قال « ابن إسحاق » :

[وأتى رسُولَ اللّه « ﷺ » الخبرُ من السّماء مع جبريل (عليه السلام) بما أراد القوم ، فقام (عليه الصلاة والسلام) مُظْهِراً أنه يقضي حاجةً ، خوفاً أن يفطنوا له فيؤْذوا أصحابه . . . ، ولذا ترك أصحابه في مجالسهم ورجع مسرعاً إلى المدينة] .

ثم إن أصحابه « ﷺ » استبطأوه، فقاموا في طلبِهِ ، فقال لهم « حُيَيُّ بنُ أخطب » - زعيم بني النضير - : لقد عجَّل « أبو القاسم » . . . ، كُنّا نريد أن نقْضِي حاجته ونقْربه . . .

وندمت اليهودُ على ما صنعوا ، وكان « حُيَيٌّ » هو المتولّي أَمْر ذلك . . . ، وقال لهم « كنانة بن صويراء » - أحد سادتهم - : هل تدرون لم قام « محمد » ؟ قالوا : والله ما ندري . . . ولا تدري أنت ؛ فقال : واللهِ أُخبرَ بما هممتم بِهِ من الغدر فلا تخدعوا أنفسكم ، واللهِ إنه لرسول الله .

فأبوا أن يقبلوا قوله .

ولمّا آنتهى أصحابه - ﷺ - إليه ، قالوا : قُمتَ ولم نَشْعُر . . . ، فأخبرهم بما أرادت اليهود من الغدْر به .

ونزل في ذلك قوله تعالى[1] : ﴿ **يا أيُّها الذين آمنوا**

---

(1) قال ذالك « موسى بن عقبة » .

اذكروا نعمة الله عليكم إذ هَمَّ قوم أن يبسطوا إليكم أَيْدِيَهم فكفّ أيديهم عنكم ﴾[1] .

٢ ـ الوقائع

ثم أمر النبيُّ « ﷺ » أصحابه بالتهيُّؤ لحرْب « بني النّضير » ، وسار بالناس إليْهم ، وحمل الراية « عليٌّ بن أبي طالبٍ » ـ كرَّم الله وجهه ـ ؛ واستعمل (عليه السلام) على المدينة « عَبْدَ الله بن أم مكتوم » ـ رضي الله عنه ـ .

وكان بينهم وبين المدينة نحو ميلَيْن في العوالي من ناحية « قُباء » ، فنزل (عليه الصلاة والسلام) بهم وحاصرهم ستّ ليالٍ ، فتحصّنوا مِنْه بالحصون ؛ واحتموا داخلها .

فأمر النبيّ « ﷺ » بقطع نخلٍ ليهود « بني النضير » يُسمى « العجْوة » وآخر يسمى « اللبن »[2] ، وكان خير أموالهم . . . ، فلما قطعت « العجوة » شق النساء الجيوب وضربْن الخدود ودعوْن بالويْل . . . ، ونادى رجالُهُم : يا محمد . . . قد كُنْتَ نهيْتَ عن الفساد وتعيبه على مَنْ

---

(١) سورة المائدة ، آية ١١ .

(٢) كان موضع نخل « بني النضير » الذي حُرق بالبويْرة ، تصغير بورة وهي الحفرة ، وهو مكان معروف من جهة مسجد قباء إلى جهة الغرب .

صنعه . . ، فما بال قَطّع النخيل وتحريقه !! أَهُوَ فسادٌ أم إصلاح ؟؟

فوقع في نفوس بعض المسلمين شيء من هذا الكلام ، وخافوا أن يكون فِعْلهم إفساداً فتوقّفوا . . . ، ولم يكونوا قد سمعوا أن النبيّ « ﷺ » قد أمر بذلك ، وظنّوا أنه باجتهاد من القاطعين الذين قالوا : بل نقطع لنغيظهم بذلك .

فأنزل الله تعالى قوله : ﴿ ما قطعتُم من لِينَةٍ أو تركتموها قائمةً على أصولها فبإذْن الله وليخْزي الفاسقين ﴾[1] .

قال ابن اسحاق :

[وقد كان رهْط من المنافقين منهم « عبد الله بن أُبيّ بن سلول » بعثوا إلى « بني النضير » حين همّوا بالخروج ان اثبتوا وامتنعوا فإنّا لن نُسْلمكُم ، إن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أُخْرجْتُم خرجنا معكم] .

فانتظروا ذلك . . . ، وقذف الله في قلوبهم الرُّعْب فلم ينصروهم ، وفي هذا نزل قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أُخرجتُم لنخرجنّ معكم ولا نُطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتُم

---

(١) سورة الحشر ، آية ٥ .

لننصُرنَّكُم والله يشهد إنّهم لكاذبون .لئن أُخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليُوَلُّنَّ الأدبار ثُمَّ لا يُنْصرون ﴾[1] .

ثم لما اشتد عليهم الحصار سألوا رسُول الله « ﷺ » أن يُجليهم عن أرضهم ويكفّ عن دمائهم ، وذلك بعد أن يئسوا من نُصْرَةِ المحرِّضين لهم .

لقد اعتزلتْهم « قُرَيْظة » . . ، واعتزلهم « ابنُ أُبيّ » . . . ، وكذا حلفاؤهم من « غَطَفان » ، فوجدوا أنفسهم كما وُصفوا دائماً : [ثعلبٌ في جُحْرٍ] . . .

ولقد قال « سلامُ بن مشكم » أحد زعمائهم لِسيِّدهم «حُيَيُّ بن أَخْطب » : أَيْن الذي زعمْتَ ؟ فقال « حُيَيُّ » : ما أَصْنَع . . . ! ؟ مَلْحَمَةٌ كُتبتْ علَيْنا .

وكان من أسباب يأْسهم وقنوطهم واستسلامهم الحادثة التالية :

أثناء الحصار بُني لرسول الله .« ﷺ » قُبَّةٌ من خشب ، عليْها مُسُوح ، أرسل بها إليه « سعْد بن عُبادة » الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ وجعلت عند مسجد « بني خطمة » ؛ ودخلها « ﷺ » . . . ،

---

(1) سورة الحشر ، الآيتان ١١ و ١٢ .

وكان « عزّوك » ـ اليهودي ـ رامياً ، فيرمي فيبلغ القُبة ، فحوِّلت إلى مسجد الفضيخ ، فتباعدت من النَّبْل .

ثم فُقد « عليٌّ » ـ رضي الله عنه ـ في ليلةٍ قرب العِشاء ، فقال الناس : [ـ يا رسُول الله ما ترى « عليّاً » . . !؟

فقال :

ـ دعوهُ فإنّه في بعض شأنِكُم . .] .

وبعد قليل جاء « عليٌّ » برأْس « عزّوك » ؛ وكان قد كَمَنَ له حين خَرَجَ يطلب غِرَّةً من المسلمين ، وكان شجاعاً رامياً ، فَشَدَّ عليه « عليٌّ » ـ رضي الله عنه ـ فقتله وفرَّ من كان معه .

وبعث النبيُّ « ﷺ » خلفهم « أبا دُجانة» و« سهْل بن حنيف » في عشرةٍ من شجعان المسلمين ـ رضي الله عنهم ـ ، فأدركوا اليهود الذين فرّوا من « عليّ » ـ رضي الله عنه ـ فقتلوهم وطرحوا رؤوسهم في بعض الآبار .

أرسل اليهود « بني النضير » إلى رسُولِ الله « ﷺ » يقولون مسْتسلمين :

ـ نخرُجُ من بلادك . .

فردّ عليهم :

ـ لا أقْبله اليوم . . . (يعني إلا بشروطٍ) .

ثم قال لهم :

ـ أُخْرُجوا منها ولكُم دماؤكم وما حملت الإبل إلاّ الحلقة (الدروع والسلاح) .

فَرَضوا بذلك ونزلوا عليه ؛ فكانوا يخرِّبون بيوتهمْ بأيْديهم لينقُلوا ما استحسنوه منها من خشبٍ وغيره ، وبغضاً وحسداً للمسلمين أنْ يسكنوها من بعدهم .

وتم إجلاؤهم ، وفي ذلك يقول الله تعالى :

﴿ ولوْلا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذّبهم في الدُّنيا ولهم في الآخرة عذاب النار ﴾[1] .

وولّى النبيُّ « ﷺ » إخراجهم لِـ « محمد بن مسلمة » الأنصاريّ ـ رضي الله عنه ـ ، يقول « ابن اسحاق » :

[خرجوا بالنساء والأبناء والأموال ، ومعهم الدفوف والمزامير والقيْنات يعزفن خلفهم بزهْوٍ وفخْرٍ لم يُرَ مثلهُ] .

[وحملوا أمتعتهم على ستّمائة بعير ، ولحق أكثرهم بِـ « خيبر » منهم : « حُييّ بن أخطب » و « سلاّم بن أبي الحُقَيْق » و « كنانة بن الربيع » ، ودان لهم أهل « خيبر » فبقوا هناك حتى أهلكهم الله في غزوة « خيبر » ـ كما سيأتي إن شاء الله ـ] .

---

(١) سورة الحشر ، آية ٣ .

٣ ـ المستخلصات

ولو أننا عُدنا إلى تتبُّع المستخلصات التي ظهرت على مسرح الأحداث ، أو نتجت عنها ، لوجدناها بعيْنها تتكرر مرةً أُخْرى ، فهي هي التي تسلسلتْ ووقعت لبني « قيْنُقاع » من قَبْل .

فأوّلاً : نقض « بنو النضير » العهد ، كما فعلت « بنو قينُقاع » .

وثانياً : زادوا في إفْكهم وفجورهم ، فحاولوا الغدْر بالنبيِّ « صلى الله عليه وسلم » .

ثالثاً : لجأوا إلى حصونهم يحتمون بها .

رابعاً : الرُّعب الذي قذفه الله في قلوبهم .

خامساً : إصابتهم باليأْس والقنوط .

سادساً : تخلّي المنافقين والكافرين عن نُصْرتهم ، حتى اخوانهم اليهود من « بني قريظة » .

سابعاً : نزولهم على شروط النبيِّ « ﷺ » .

ثامناً : اجلاؤهم عن المدينة .

وقبل أن نمضي في البحث نودُّ أن نشير إلى حادثةِ « عزّوك » اليهودي ، أحدُ رُماة « بني النضير » الذي خَرَج في مجموعةٍ منهم ليْلاً ، يريد غدرةً بالمسلمين ، فهذه الظاهرة لا

يمكننا أَنْ نسمّيها مواجهةً قتاليّة ، أو إيذاناً بحربٍ شاملةٍ بيْن الطرفيْن ، فهي لا تعدو كوْنها حادثةً فرديَّة . . . ، ولئن دلَّتْ على شيْءٍ فإنما تدلُّ على الحافز النفسي المستمكن من الذات اليهودية ، وهو الغدْر . . . ، بكل ما يحيط بِهِ من ظروفٍ وعوامل ومناسبات ، وما قد ينُتجُ عنه من مكاسب .

(ج) غزوة بني قُرْيظة

١ ـ الأسباب ٢ ـ الوقائع ٣ ـ المستخلصات .

١ ـ الأسباب

غزوة « بني قُرَيْظة » هي آخر غزوات النبي « ﷺ » ليهود المدينة ، ومعركتُهُ معهم هي آخر المعارك ، وقد وقعت إثْر « غزوة الخندق » ـ أو الأحزاب ـ ، وإجماع المؤرخين وكتّاب السيرة أنها كانت بأمْرٍ من الله تعالى ، حمله « جبريل » ـ عليه السلام ـ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فعن « عائشة » ـ رضي الله عنها ـ قالت : [لما رَجَع النبيُّ « ﷺ » يوم الخندق ، بينما هو عندي إذ دُق الباب ، فارتاع، لذلك رسول الله « ﷺ » ووثب وثبةً منكرة ، وخرج فخرجتُ في إثره ، فإذا رجُلٌ على دابةٍ والنبيُّ « ﷺ » متكىء على معرفة

الدابة يكلّمه ، فرجعْتُ ، فلمّا دخل قلتُ : من ذلك الرجل الذي كنت تكلِّمه ؟ قال : ورأيْتيه ؟ قلتُ : نعم ، قال : بمَنْ شبَّهْتيه ؟ قلت : بـ « دِحْيَة الكلْبيّ » . . . ، قال : ذلك جبريل أمرني أن أمضي إلى « بني قريظة » . .

فأمر رسُولُ الله « ﷺ » مـؤذناً[1] أن ينادي في الناس : [مَنْ كان سامعاً مُطيعاً فلا يصلِّيَنّ العصر إلاّ في « بني قُرَيْظَة »] .

ولا يفوتنا قبل الانتقال إلى ذكر الأَسْبَاب أن نتحدث عن أمر حيويّ وهام يتعلق بصميم البحث والدراسة ، ويجب أن يوضع في أولويّات الاعتبار ، وهو أن طوائف اليهود الثلاثة : « بني قَيْنُقَاع » و « بني النَّضير » و « بني قُرَيْظة » لم تُناصر بعضها بَعْضاً أو تتَّحد وتتكاتف في مواجهة المسلمين ، رغم ما بينها من تعاطُفٍ وتلاحُمٍ ووحدة دينٍ وجنس ، وكذلك وحدة مصير . .

وما من شكّ في أنَّ قول الله تعالى في كتابه الكريم ، والذكر الحكيم : ﴿تَحْسَبُهم جميعاً وقلوبهم شتّى﴾[2] هو أَصْدق تعبير وأبلغه عن واقعهم الذهنيّ والنفسيّ . . .

فاليهود على مختلف العصور وتباعد الأزمان وتبايُن الوقائع

---

(١) هو « بلال بن رباح » - رضي الله عنه .

(٢) سورة الحشر ، آية ١٤ .

والأحداث فئاتٌ متعددة ، تبدو من حيْث الظاهر أمة واحدة ، ولكنّها عند التجربة والانفعال ، والدخول في جوٍّ المحنة ، تتشعب . . .، وتتربص إحداها بالأخرى ، فلعلَّ الدائرة تدور ويكون لها السلطان . . .

والله تعالى قال : ﴿ . . . **وقلوبهم شتّى** ﴾ ، لأنّ القلب مجمع النوازع ومرتكز المشاعر والأَهواء ، خيْراً كانت أَوْ شرّاً ؛ وهذه كلها لا تظهر إلا بالأسباب والدواعي .

إذاً . . . لم يعُد من مجالٍ للتساؤل عن أسباب عدم التناصُر بيْن الأطراف والطوائف الثلاثة من سُكان « المدينة » .

اللهُمَّ إلّا أن يعطي بعضُهم بعضاً من بضاعة الكلام ما لا يغني ولا يفيد ، وقد ينقلبُ على صاحبه ضرراً وأذى ، وهذا أرجح الإحتمالات . . . ، لماذا ؟ ليكسب المحرِّضُ الإرْث . . !

وما مجيء « حُييّ بن أخطب » من « خيبر » التي لجأ اليها مع قومه من « بني النضير » ، إلى المدينة محرّضاً « كعب بن أسد » ـ سيد « بني قريْظة » ـ على نقض العهد مع المسلمين ، والتحالُف مع المشركين ، في « غزوة الخندق » إلا لوْناً من ألوْان التناصُر القوْليّ فقط ، فلعلَّ الزعامة المفقودة تعودُ إلى « حُييّ » . . . ، أوْ يَرِثَ السُّلطانَ !!! .

ونعود إلى الأسباب . . .

قال «ابن إسحاق» :

[بما وقع إجلاءُ «بني النضير» ،سار نفر من اليهود منهم « سلام بن مشكم » و « سلام ابن أبي الحقيْق » و « حُيَيٌّ بن أخطب » وعيرهم . . . ، خرجوا من « خيبر » حتى قدموا مكّة على قريشٍ فقالوا لهم : إنا سنكون معكم على « محمد » حتى نستأصله] .

قال « ابن إسحاق » :

[فقالت لهم قريش : إنكم أهل الكتاب الأوّل ، والعلم بما أصحبنا نختلف فيه نحن و « محمد » . . ، أفديننا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أوْلى بالحقّ منه ، فأنزل الله تعالى فيهم : **﴿ ألم تَرَ إلى الذين أُوتُوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجِبْتِ والطاغوت ويقولون لِلَّذِينَ كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً * أولئك الذين لَعَنَهم الله ومن يلْعن الله فلن تجد له نَصيراً ﴾**[1] .

فسُرَّت قريش بقوْل اليهود لهم ذلك ، وبشهادتهم لهم فنشطوا لما دعوهم إليه ، فاجتمعوا لذلك واستعدوا وتواعدوا على وقتٍ يخرجون فيه .

---

(١) سورة النساء ، الآيتان ٥١ و ٥٢ .

ثم خَرَج أولئك اليهود حتى جاؤ وا « غطفان » فدعوهم إلى حرب النبي « ﷺ » ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه وجعلوا لهم تمْرْ « خيْبر » سنةً إن هم نصروهم وأخبروهم أن « قريشاً » تابعوهم على ذلك ، فاجتمعوا معهم] .

[وخرَج عدوُّ الله « حُيَيُّ بن أخطَب » حتى أتى « كَعْب بن أسَدٍ » ـ القُرظيّ ـ صاحب عقد « بني قريظة » وعَهْدهم ، وكان قد صالح رسُول الله « ﷺ » على قومه وعاقده ، فأغلق « كعْب » دون « حُيَيّ » باب حصنه ، وأبى أن يفتح له ، فقال له « حُيَيّ » : ويْحَك يا « كعب » إفْتح لي أكلّمك ، فقال له : إذهب عني إنك امرؤٌ مشؤوم ، وإني قد عاهدْتُ « محمداً » فلسْتُ بناقضٍ ما بيْني وبيْنه فإني لم أر منه إلاّ وفاءً وصدقاً .

فَنسبَهُ « حُيَيّ » إلى البُخْل وقال له : والله ما اغْلَقْتَ دوني إلاّ تخوُّفاً على جشيشتك[1] أن آكل معك منها .

ولم يزل به حتى فتح له ، فقال : ويْلك يا « كعب » . . . إن وافقتني جئتك بِعِزّ الدهر . . . ، جئتُك بقريش حتى أنزلتهم بمجتمع السيول ، ومن دون منزل « قريشٍ » « غطفان » ، وقد عاهدوني على أن لا يرجعوا حتى نستأصل « محمداً » ومن

(١) البُرّ المطحون غليظاً .

معه ، فقال « كعب » : جئتني والله بِذُلّ الدَّهْر ، وبجهام قد أهرق ماؤه ، يرعد ويبرق وليس فيه شيء . . . ، ويْحك يا «حُيَيّ» دَعْني وما أنا عليه فإني لم أر من«محمد»إلّا صدْقاً ووفاءً ، ولم يزل به يفتله في الذروة والغارب . . . حتى نقض عهده وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله « ﷺ » ، وأعطاه « حُيَيّ » عهْداً على أنّه إن رجعَتْ « قريش » و « غطفان » ولم يصيبوا « محمداً » أن يدخل معه في حصْنه ليصيبه ما يُصيبه . . .] .

وكان لنقض « بني قريظة » العهد مع رسول الله « ﷺ » القصاص العادل والجزاء الحق الذي نزل بهم بعد ذلك ؛

فقد أوقعوا المسلمين بين فَكَّيْ كمّاشةٍ (حسب التعبير العسكري المتعارف عليه حديثاً) ؛ فقريش والأحزاب من أمامهم لا يفصل بينهم إلّا الخندق ، واليهود من ورائهم ، خاصّةً وأن نساء المسلمين وذراريهم مهدّدون فعلاً بالخطر اليهودي . . .

وفي ذلك يقول الله تعالى في محكم كتابه العزيز : ﴿ **يا أيُّها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكُم إذ جاءتكُم جنود فأرسلْنا عليهم ريحاً وجنوداً لم ترَوْها وكان اللهُ بما تعملون بصيراً * إذْ جاءوكم من فوقكم ومن أَسْفَلَ منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغتْ**

القلوب الحناجر وتظُنُّون بالله الظُّنونا * هُنالك ابتُلِيَ المؤمنون وزُلْزِلوا زلزالاً شديدا ﴾[1] .

ويكفينا التّصوير القرآني في تحديد معالم الهزّة النفسيّة التي ألمَّت بقلوب المسلمين ، وما جرَّه عليهم الموقف اليهودي الطارىء من رُعْبٍ وفزع . . .

ويأتي بعد هذا المستشرقون ، أو المستغربون على حدٍّ سواء . . ، في الغمْز مما أوْقعه رسُولُ الله « ﷺ » بيهود « بني قريظة » من المعاملة ، فيقولون عن بواعثها بأنها كانت تعطشاً لسفك الدماء وإزهاق الأرواح . . . ، ونسوا أَوْ تناسوا الأسباب والدواعي ، ونسوا أو تناسوا أنها الحرب . . ، ونسوا أو تناسوا ما فعله الاستعمار[2] في شتى أرجاء الأرض في الماضي ، أو ما يفعله في الحاضر !! ؟

٢ ـ الوقائع

بعد أن جاء الأمر للنبيّ « ﷺ » بالاقتصاص من « بني قريظة » وأذّن مؤذّنه بالجهاد ، بعث منادياً يقول : يا خيْل الله

(١) سورة « الأحزاب » (الآيات : ٩ ـ ١١) .
(٢) الاستعمار الذي نعنيه هو الاستعمار الغربي والشرقي دونما تفريق ؛ [الحقد الصليبي والغدر الصهيوني والغزو الشيوعي] .

آركبي ، ثم سار إليهم ، وبعث « عليّاً » ـ كرَّم الله وجهه ـ على المقدّمة ، ودفع إليه لواءه ، وكان اللواء على حاله لم يحلّ عند مرجعهم من الخندق .

واستعمل على المدينة « ابن أُمّ مكتوم » ـ رضي الله عنه ـ ، ولبس « ﷺ » السلاح والدّرع والمغفر والبيضة[1] وأخذَ قناته ، وتقلّد القَوْس وركب فرسه « اللُّحيف » ، وسار الناسُ حوْله قد لبسوا السلاح وركبوا الخيل وهم ثلاثة آلاف ، والخيل ستة وثلاثون فرساً ؛ ومرَّ بنفرٍ من الأنصار وقد لبسوا السلاح فقال لهم : هل مرَّ بكم أحدٌ ؟ قالوا : نعم . . . « دِحْية الكَلْبِيّ » مرَّ على بغلةٍ بيضاء عليه اللّأمة وأمرنا بحمْل السلاح ؛ وقال لنا : رسُول الله « ﷺ » يطلع عليكم الآن ، فلبسْنا سلاحنا وصففْنا ، فقال رسُول الله « ﷺ » : ذاك جبريل بُعث إلى « بني قريظة » ليُزلزل حصونهم ويقذف الرعْب في قلوبهم .

فلما دنا « عليٌّ بن أبي طالب » ـ رضي الله عنه ـ من الحصْن ومعه نفر من المهاجرين والأنصار ، وعزز اللواء عند أصْل الحصْن ، سمع من « بني قريظة » مقالةً قبيحةً في حقّ النبيِّ « ﷺ » فسكت المسلمون وقالوا : السَّيْفُ بيننا وبينكم ؛

فلما رأى « عليٌّ » ـ رضي الله عنه ـ رسول الله « ﷺ »

(١) البيضة : الخوذة .

مقبلاً أمر « أبا قتادة » ـ الأنصاري ، رضي الله عنه ـ أن يلزم اللواء ، ورجع « عليٌّ » إلى رسول الله « ﷺ » وقال : يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث . . . ، قال : لعلَّك سمعت منهم لي أذىً . . ! ؟ قال : نعم ، قال : لو رأوني لم يقولوا شيئاً ، فلما دنا رسول الله « ﷺ » من حصونهم قال : يا إخوان القردة والخنازير[1] وَعَبَدَةَ الطاغوت هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ! ؟ أتشتموني !!! فجعلوا يحلفون ما قُلْنا ، ويقولون : يا أبا القاسم ما كنتَ جهولاً ولا فاحشاً . . .

ثم قال لهم « أُسَيْد بن حُضَيْر » ـ رضي الله عنه ـ : يا أعداء الله . . . لا تبرحوا من حِصْنكم حتى تموتوا جوعاً . . . ، إنما أنتم بمنزلة ثعلبٍ في جُحْر ، فقالوا : يا « ابن حُضَيْر » نحنُ مواليك . . !! فقال لهم : لا عَهْد بيني وبينكم .

وحاصر رسُولُ الله « ﷺ » «بني قريظة » خمساً وعشرين ليلة ، وكان طعام الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ التَّمْر ، يرسل به إليهم « سعد بن عبادة » ـ رضي الله عنه ـ ؛ واشتد الحصارُ على « بني قريظة » ، وقذف الله الرعب في قلوبهم .

وكان « حُيَيُّ بن أخطب » قد دخل معهم حِصْنهم حين

---

(١) إنما قال لهم ذلك لأن اليهود مُسخ شبابهم قردة وشيوخهم خنازير عند اعتدائهم يوم السبت بصيْد السمك .

رجعت الأحزاب وفاءً لِـ « كعب بن أسدٍ » بما عاهده عليه . . . ، فلمّا أَيْقَنُوا أن النبي « ﷺ » غير منصرف عنهم حتى يناجزهم ، قال لهم زعيمهم « كعب بن أسدٍ » :

ـ يا معشر يهود قد نزل بكُم من الأمر ما تَرَوْن ، وإني عارضٌ عليكم ثلاث خلال فخذوا أيها شئتم .

قالوا :

ـ وما هي ؟

قال :

ـ نتابع هذا الرجُل ونصدِّقه ، فوالله لقد تبيَّن لكم أنَّه نبيٌّ مرسل ، وأنه الذي تجدونه في كتابكم ، فتأْمنون على دمائكم وأموالكم ونسائكم ، وما منعنا من الدخول معه إلا الحسد للعرب حيث لم يك من بني إسرائيل ، ولقد كنتُ كارهاً لنقض العهد ، ولم يكن البلاء والشؤم إلاّ من هذا الجالس [يعني حُيَيّ بن أخطب] . !! أتذكرون ما قال لكم « ابن خراش » حين قدم عليكم أنه يخرج بهذه القرية نبيٌّ فاتبعوه وكونوا لهُ أنصاراً ، وتكونون آمنتُم بالكتابيْن الأوّل والآخر[1] .

فلما قال لهم « كعب » ذلك قالوا :

ـ لا نفارق حكم التوراة ولا نستبدل به غيره .

---

(١) التوراة والقرآن الكريم .

قال « كعب » :

ـ فإذا أبيْتُم على هذه فهلُمَّ نقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى « محمد » وأصحابه رجالاً مُصْلتين السيوف ، لم نترك وراءنا ثقْلاً حتى يحكم الله بيننا وبين « محمد » ، فإن نهلك تهلك ولم نترك وراءنا نسْلاً يخشى عليه ، وإن نظفر ، فلعمْري ـ لَنَجِدَنَّ النساء والأبناء . . .

قالوا :

ـ نقْتُل هؤلاء المساكين !! ؟ فما خيْر العيْشِ بعدهم ؟

قال :

ـ فإن أبيْتُم عليَّ هذه فإن الليلة ليلة السبت ، وعسى أن يكون « محمد » وأصحابه قد أَمِنونا فيها ، فآنزلوا لعلّنا نصيب من « محمد » وأصحابه غِرَّة .

قالوا :

ـ نفسد سَبْتَنا ونُحْدث فيه ما لم يُحدث فيه مَنْ كان قَبلنا إلاّ وأصابه ما لم يَخْفَ عليك من المَسْخ !! ؟

ولقد نصحهم فيما هم فيه من الموقف الحرج غير واحدٍ من زعمائهم ، إلاّ أَنَّهم أصروا على موقفهم ، وآثروا الحصار دون اتخاذ أي موقفٍ إيجابي ينبىء عن همّةٍ أو عزيمة .

ثم أرسلوا شخصاً منهم يُدعى « شاس بن قيس » إلى رسول الله « ﷺ » للمفاوضة ، فعرض أن ينزل « بنو قريظة »

علىٰ ما نزلتْ عليه « بنو النضير » من أن لهم ما حملت الإبل إلا الحلقة[1] ؛ فأبى رسولُ الله « ﷺ » أن يحْقن دماءَهم ويسلِّم لهم نساءَهم والذرية . . . ، فأرسلوا له ثانياً بأنهم لا حاجة لهم بشيءٍ من الأموال . . . لا من الحلقة ولا من غيرها . . . ، فأبى ـ أيضاً ـ رسول الله « ﷺ » إلا أن ينزلوا على حُكْمه . . ، فعاد « شاسٌ » إليهم بذلك . . . فأسقط في أيديهم تجاه هذا الرفض المتكرر .

ثم بعثوا إلى رسول الله « ﷺ » يقولون :

ـ إبعث إلينا « أبا لُبابة » ـ [بشير بن عبد المنذر] ـ رضي الله عنه ـ لنستشيره في أمْرنا .

وقد كان « أبو لبابة » مناصحاً لهم، وسبب ذلك أن ماله وولده وعياله كانوا في « بني قريظة » ، كما أنه ـ رضي الله عنه ـ كان من الأوْس المحالفين لهم .

فأرسله « ﷺ » إليهم ، فلما رأوه قام إليه الرجال ، وأسرع إليه الصبيان والنساء يبكون في وجهه من شِدَّة ما يلقون من الحصار وتشتيت مالهم . . . ، فَرَقَّ لهم ؛

ثم قالوا :

ـ يا « أبا لُبابة » أترى أن ننزل على حُكم « محمد » . ؟

---

(١) أداة السلاح والحرب .

قال :

ـ نعم . . . ، وأشار بيده إلى حلْقِهِ ـ أي أَنَّهُ الذَّبْح فلا تفعلوا ـ .

ولقد شعر ـ رضي الله عنه ـ بأَنَّه بتصرفه هذا قد خان الله ورسُوله ، فندم ندماً شديداً ، وخَرَجَ من عندهم إلى المسجد النبويّ الشريف وربط نفسه إلى ساريةٍ من السواري مُمْتنعاً عن الطعام والشراب حتى يفكّه رسُول الله « ﷺ » ويسامحه ؛ وبقي على ذلك ست ليالٍ حتى أنزل الله تعالى في شأنِهِ قرآناً .

قال تعالى : ﴿ **وآخرون اعترفوا بذُنُوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم** ﴾[1] .

ثم إن « بني قريظة » لم يجدوا بُدّاً من الاستسلام والنزول على حُكْم رسُول الله « ﷺ » ، فأمر بهم فكُتِّفوا وجُعلوا ناحية ، وكانوا ستمائة محارب ، وأُخرج النساء والذراري من الحصون وجُعلوا ناحيةً وكانوا ألْفاً . . .

وتقدَّم بعض « الأوْس » من رسُول الله « ﷺ » مُسْتَشفعين ، كما اعترض بعضُهُم مذكّرين بما كان من العفْو عن « بني قَيْنُقَاع » . . ؟ !

---

(١) سورة التوبة ، آية ١٠٢ .

فقال لهم النبي « ﷺ » :

- [أما تَرْضَوْنَ - يا معشر الأوْس - أن يحكُم فيهم رجْل منكم ؟]

- بلى . . . ، ثم آخْتاروا سيّدهم « سعد بن معاذٍ » ، وكان « سعد » مريضاً بسبب جُرْح أصابَهُ « يوم الخندق » ، فحُمل على سريرٍ إلى أرض المعركة ؛

وقال « سعد » لـ « بني قريظة » : أترضَوْنَ بحكمي ؟ قالوا : نعم ، فأخذ عليهم عهد الله وميثاقه أن الحكم ما يحكم به .

قال « سعد » :

- إني أحكم فيهم أن تُقْتل الرجال وتقسم الأموال وتُسبى الذراري والنساء ، وتكون الديار للمهاجرين دون الأنصار . . .

فقال رسول الله « ﷺ » لِـ « سعد » :

- [لقد حكمْتَ فيهم بحُكم الله من فوق سَبْع سماوات] .

وَنُفِّذَ الْحُكْم .

وأنزل الله تعالى في القرآن الكريم آياتٍ بيناتٍ في شأنِ « بني قريظة » وواقعتهم ؛ قال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ الذين

ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرُّعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً * وأوْرثكم ارضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤها وكان الله على كل شيءٍ قديرا ﴾[1] .

٣ ـ المستخلصات

تتكرر نفس المستخلصات وتتماثل النتائج التي أسفرت عنها غزوة « بني قريظة » مع ما سبقها من غزوتي « بني قَيْنُقَاع » و « بني النَّضير » ، مضافاً إليْها ما يتناسبُ مع أسْبابها وأحداثها ، وحجْم آثارها في الخطورة والأذى والضرر .

فبالإضافة إلى نَقْض « بني قريظة » عهدهم مع رسول الله « ﷺ » ، وتحالفهم مع الأحزاب ، وغدرهم بالمسلمين . . . فقد شكّلوا جبهةً قتالية إبّان المعركة ، وأضْحوا محاربين . . !

وأيْضاً : فإن الأمر بقتالهم وغزوهم كان وَحْياً من السماء حمله الأمينُ « جبريل » ـ عليه السلام ـ إلى رسُول الله « ﷺ » عقب العودة إلى المدينة من الخندق . . . ، ودونما فاصلٍ زمنيٍّ يُذْكر .

وكذلك الحُكْم فيهم كمقاتلين ومحاربين ، فلقد قال

---

(١) سورة الأحزاب ، الآيتان ٢٦ و ٢٧ .

« عليه الصلاة والسلام » لِـ « سعد بن مُعاذ » : [لقد حكمْتَ فيهم بحُكْمِ الله من فوق سَبْع سماوات] .

ولقد كان من شأْن « بني قريظة » أن لجأوا إلى حصونهم يحتمون بها ، وهُمْ يظنُّون أنها مانعتُهُم .

ولعلَّ في الْعروض التي حاول زعيمهم « كعب بن أسدٍ » أنْ يقنعهم بِها فيحملوا أنفسهم على واحدٍ منها ، لعل في تلك العروض ورفضها من قِبَلِهِم من الإشارات ما يؤكّد تأصُل بؤرة الحقد في نُفُوسهم ، وَحَمأَة الْغدر في ذواتهم .

ويكفي واحد من تلك العروض للدلالة . . .

(لقد قال لهم « كعب » : نُتَابع هذا الرجل ونصدِّقه ، فقد تبيّن لكم أنه نبيٌّ مرسل ، وأنه الذي تجدونه في كتابكم ، فتأْمنون على دمائكم وأموالكم ونسائكم ، وما منعنا من الدخول معه إلّا الحسدُ للعرب حيث لم يكُ من بني إسرائيل . . .) .

وإن في الرَّفْض المتكرر من قبلهم ما يؤكّد أيضاً تأصُّل الجُبْنِ والخَوْف في قلوبهم عن المواجهة . . .

وهذا ما كان يحدو بهم دائماً ، على اختلاف طوائفهم إلى الاحتماء داخل الحصُون .

وكما أَلْقى الله تعالى من قَبْل الرعْب في قلوب « بني

قَيْنُقَاع » و« بني النضير » ، قذفه في أجواف « بني قريظة » فاستحْوَذَ عليهم وتملّكهم .

وأخيراً وقعوا فريسة اليأس والقُنُوط ، وَأَذْعَنُوا لشروط النبيِّ « ﷺ » وحُكْمه ، حيثُ أوْقَعَ بهم من العقاب وأنزل بهم من القصاص ما يستحقّون .

(د) غـزوةُ خَيْبـر

١ ـ الأسباب ٢ ـ الوقائع ٣ ـ المستخلصات .

١ ـ الأسبـاب

تجري كُتُب السيرة عموماً ، وكذلك كُتُب التاريخ على ذكر « غزوة خيبر » ووقائعها دون التعرُّض لأسبابها ، أو الحافز الرئيسي الذي حدا برسول اللّه « ﷺ » إلى غزو يهودها وقتالهم .

وقد يرى بعض المغرضين أو السُّذج بأنَّه « عليه السلام » كان متحرِّشاً من غير داعٍ ، فلا عقد ولا حلف بينه وبين يهود « خيبر » ؛ فهم ـ أي اليهود ـ لم ينقضوا عَهْداً أو وعداً بينهم وبيْن النبي « ﷺ » ، فلماذا الغزو ؟

ومن عجب أنَّ أكثر الكتاب المعاصرين الذين كتبوا في السيرة سرداً وتحليلاً لم يبيّنوا لنا سبباً مستخلصاً لهذه الغزوة ! !

والواقع التاريخي يشهد بأن « خيبر » كانت مباءة لبعض اليهود الذين أجلاهم النبيُّ « ﷺ » من المدينة ، من « بني النضير » ، أمثال «حُيَيّ بن أخطب » و « سلام بن أبي الحقيق » وغيرهما من الزعماء . . . ، ومنطلقاً جديداً إلى استمرار العداوة والمؤامرات ، ومجمعاً لأهل الغدر والفجور ، فبقاؤها على ما هي عليه يُشكل خطورةً ، وجبهة تجسُّسٍ وتحفُّز . . .

وأيضاً . . .

فإن قبيلة « غطفانٍ » القوية البأس ، الكثيرة العدد والعُدّة ، والتي تألّبَتْ مع الأحزاب يوم الخندق ما تزال على تحالُفها مع يهودُ « خيبر » ، وتقيم قريباً منها ، وهي لم توقّع على « صُلْح الحديبية » ، ولم تدْخُلُ في العَهْد . . .

لذا . . . ، فإن غزو النبي « ﷺ » لِـ « خيبر » كان يهدف ـ والله أعلم ـ إلى أمريْن اثنين ؛ أولاً : القضاء على بؤرة الفساد والإفساد والانتهاء التّام من مؤامرات اليهود وكيدهم ومكرهم ، خصوصاً وأنه « عليه السلام » قد أَمِنَ جانب قريشٍ بالصُّلْح الذي وقّعه معهم يوم « الحديبية » .

وثانياً : القيام بحركةٍ حربية وعسكرية يكون الغرضُ منها

إرهابَ « غطفان » ، وعزْلها عن حلفائها يهود « خيبر » ، فلا يشكّلون معاً جناحاً واحداً له خطرُهُ ، وله شأنُه .

٢ ـ الـوقـائع

تقع « خيبر » على بُعْد ثمانية بُرُدٍ[1] من المدينة إلى جهة الشام ، وهي مدينة كبيرة ذات حصونٍ ومزارع ونَخْلٍ كثير .

قال ابن إسحاق :

[أقام النبيُّ « ﷺ » بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرَّم ، ثم خرج إلى « خيبر » ، سنة سَبْعٍ] .

[واستعمل على المدينة « غيلة بن عبد اللّه الليثي » ، وكان معه « عليه الصلاة والسلام » ألفٌ وأربعمائة راجل ومائتا فارس ، وقد استنفر حوْله ممّن شهد الحديبية يغزون معه] .

[وفي مسيره قال لِـ « عامر بن الأكوع » ـ رضي اللّه عنه ـ : إنْزل فحدِّثْنا من هنيهاتك ـ أي من أراجيزك وشعرك ـ ، فقال : يا رسول اللّه تركتُ قول الشعر . . . ، فقال له « عمر بن الخطاب » ـ رضي اللّه عنه ـ : إسْمَعْ وأطِعْ . . . ، فنزل يرتجز ويقول :

---

(١) مائة وستون كيلومتراً ، في الطريق الى « تَيْماء » و « تبوك » .

والله لولا أنْت ما اهتديْنا ولا صدَّقْنا ولا صلَّيْنا
فاغفر فداءً لك ما أبقيْنا وألْقين سكينةً علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا إنّا إذا صيحَ بنا أتيْنا
إن الذين قد بغوا عليْنا إذا أرادوا فتنةً أبَيْنا

فقال له رسول الله « ﷺ » : يَرْحمُكَ ربُّك . . !

[وما قال « ﷺ » ذلك لأحدٍ في مثل هذا الموطن إلا استشهد] . فقال « عمر » - رضي اللّه عنه - : لقد وجبت (أي الشهادة) يا رسول الله . . . ، هلاّ أمتعْتنا بِهِ] .

ولقد استشهد « عامر » في تلك الغزوة - رضي الله عنه - .

[وفي البخاري عن أنسٍ - رضي الله عنه - أن النبيَّ « ﷺ » أتى « خيبر » ليْلاً ، فنام هو وأصحابه دونها ، ثم زكبوا إليها بُكرةً فصبحوها بالقتال ، وكان « ﷺ » إذا أتى قوماً بليْلٍ لم يغزهم حتى يُصبح وينظر ، فإذا سمع أذاناً كفَّ عنهم ، وإلاَّ أغار عليهم ، فلما أتى « خيبر » ولم يسمع أذاناً فركِبَ] .

وعن ابن إسحاق :

[أنه « ﷺ » لما أشْرف على « خيبر » قال لأصحابه : قفوا . . . ، ثم قال : اللَّهُمَّ رب السماوات وما أظْلَلْنَ ، وربَّ الأرضين وما أقْلَلْنَ ، وربَّ الشياطين وما أضْلَلْنَ ، وربّ الرياح

وما ذريْن ، فإنا نسألُكَ خَيْر هذه القرية وخير أهلها وخيْر ما فيها ، ونعوذُ بك من شرِّها وشَرِّ أهلها وشرِّ ما فيها . . .

أقدموا باسم اللَّه] .

[فلما أَصْبَح ، خرجت اليهود إلى زروعهم بمساحيهم ومكاتلهم . . . ، فوجدوا المسلمين . . . ، فلما رأوهم قالوا : محمدٌ ـ واللَّه ـ والخميس[1] . . . ، وتعالت أصواتهم ثم ارتدوا إلى حصونهم على أعقابهم .

فقال النبي « ﷺ » : اللَّهُ أكْبَرُ خربتْ « خَيْبر » ، إنها إذا نزلنا بساحةِ قومٍ فساء صباحُ المنذرين .

ثم دفع « عليه السلام » رايته العُقاب إلى « الحُباب بن المنذر » ـ رضي اللَّه عنه ـ ، ودفع رايةً لِـ « سعد بن عُبادة » .

ونزل « عليه الصلاة والسلام » بالمسلمين بوادٍ يُقال له : « الرجيع » بينهم وبيْن « غطفان » لئلا يمدّوهم ، إذْ كانوا حلفاءهم .

وفعلاً فقد تجهزت « غطفان » وخرجت تريد نجدة يهود « خيبر » ، إلاّ أنهم سمعوا من ورائهم حِسّاً وجلبةً ، فظنوا أنَّ المسلمين قد فاجؤهم في ذراريهم . . . ، فنكصوا على

---

(١) الخميس : الجيش .

أعقابهم ، وأقاموا في ديارهم وخذلوا أهل « خيبر » .

وكان يهودُ « خيبر » قد أدخلوا أموالهم وعيالهم في حصون « الكتيبة » ، وجمعوا المُقاتلة في حصون « النَّطاة » .

ولقد نزل « عليه الصلاة والسلام » بالمسلمين قريباً من حصون « النّطاة » ، بعد أن تقدم من « الرجيع » إلى « خيبر » .

فجاءه « الحبابُ بن المنذر »[1] وقال : يا رسول اللّه إنك نزلت منزلك هذا . . . ، فإن كان عن أمرٍ أُمرْتَ به فلا نتكلَّم ، وإن كان هو الرأْي تكلَّمْنا . . .

فقال رسول اللّه « ﷺ » : هو الرأْي . . .

فقال « الحُباب » : يا رسُول اللّه ، إن أهل « النّطاة » لي بهم معرفة ، ليس قَوْمٌ أبعد مدىً منهم ، ولا أَعْدل رمْية منهم ، وهم مرتفعون علينا ، وهو أسرعُ لانحطاط نَبْلهم ولا نأمن بياتهم يدخلون في حمر النخل[2] . . . ، تحوَّلْ يا رسول اللّه .

فقال له « عليه السلام » : أَشَرْت بالرأْي . . . ، إذا أَمسيْنا تحوَّلْنا] .

---

(١) وكان رضي الله عنه يلقّب بـ « ذي الرأي » لذكائه وعبقريته ونضوج رأيه في الأمور العسكريّة القتالية وغيرها .

(٢) النخل المجتمع بعضه على بعض .

[ودعا رسُول اللَّه « ﷺ » « محمد بن مسلمة » ـ رضي اللَّه عنه ـ فقال : أنظُرْ لنا منزلاً بعيداً . . .

فطاف « ابن مسلمة » في الأماكن ، ثم عاد وقال : يا رسول اللَّه وجدْتُ لك منزلاً ، فقال « ﷺ » : على بركةِ اللَّه . . .

ثم تَحوَّل لمّا أمسى ، وأمر الناس بالتحوُّل . . ، فاتخذوا ذلك الموضع معسكراً ، وكان حائلاً بيْن أهل « خيبر » و « غطفان » ؛ وابنتى « عليه السلام » هناك مسجداً صلّى به طوال مقامه بـ « خيبر » . .

وأمر بقطع نخيل حصون أهل « النّطاة » ، فوقع المسلمون في قطعها حتى قطعوا أربعمائة نخلة ، ثم نهاهم عن القطع .

وقاتل « ﷺ » يومه ذلك أشد القتال ، وعليه درعان ومغْفر وبيْضة ، وهو على فرسٍ يقال له : « الظّرب » ، وفي يده قناةٌ وترس .

وألحّ على حصْن « ناعم » بالرَّمْي ، وهو من حصون « النّطاة » . . .

ومكث « ﷺ » سبعة أيامٍ يقاتل أهل حصون « النّطاة » ، مخلِّفاً على العسكر « عثمان بن عفّان » ـ رضي اللَّه عنه ـ ، فإذا

أمسى رجع إلى ذلك المحلّ ومعه من جُرح من المسلمين ليُداوى .

وكان « عليه السلام » يُناوب بيْن أصحابه في حراسة اللَّيل ، فلمّا كانت الليلة السادسة ـ من السَّبْع ـ إستعمل « عمر » ـ رضي اللَّه عنه ـ ، فطاف « عمر » بأصحابه حول المعسكر . . . وفرَّقهم . . . فأُتي برجُلٍ من يهود « خيبر » في جوْف اللَّيْل ، فأمر « عمر » بضرْب عنقه . . . ، فقال اليهودي : إذهب بي إلى نبيّكم حتى أكلِّمه . . . ، فأمسك عنه ، وانتهى به إلى باب خيمة رسول اللَّه « ﷺ » فسمعه يصلّي . . . ، فلما سلَّم أدخله عليه ، فقال النبي « ﷺ » لليهودي : ما وراءك ؟ فقال : « تُؤَمِّنّي يا أبا القاسم !؟ قال : نعم . . . ، قال : خرجْتُ من حصون « النّطاة » من عند قومٍ يتسلَّلون من الحصْن في هذه الليلة . . . ، قال : فإلى أيْن ؟ قال : إلى حِصْن « الشقّ » يجعلون فيه ذراريهم ويتهيؤون للقتال .

وقال : إن في هذا الحصن (يعني حِصْن « الصعْب » من حصون « النّطاة ») بيت تحت الأرض فيه منجنيق ودباباتٍ ودروع وسيوف ، فإذا دخلْتَ الحصْن غداً ـ وأنت داخله ـ . . .

(فقاطعه رسول اللَّه « ﷺ » قائلاً : إن شاء اللَّه . . . ، فقال اليهودي : إن شاء اللَّه . . .) .

أوْقَفْتُك عليه ، فإنه لا يعرفه غيري ، وأُخرى . . .
قال « عليه السلام » : وما هي ؟

قال اليهودي : ستُخْرج المنجنيق وتنصبُه على حصن « الشقّ » ، ويدخل الرجالُ تحت الدبابات ، فيحفرون الحصْن ، فتفتحه من يومك ، وكذلك تفعل بحصون « الكتيبة » .

ثم قال : يا أبا القاسم . . . إحْتَقِنْ دمي ، قال : أنْت آمن ، قال : ولي زوجة فهبْها لي ، قال : هي لك ، ثم دعاه إلى الإسلام فقال : أنظرني .

وكان « ﷺ » تأخذُهُ الشقيقة[1] في بعض تلك الأيام، فأقام يبعث على المقاتلة أناساً من أصحابه ، أمثال « أبي بكر » و« عُمر » ـ رضي اللّه عنهما ـ ، فلم يكُنْ ثَمَّ فَتْح . . .

وفي مساء يومٍ قال : لأُعطينَّ الراية غداً لرجلٍ يحبُّ اللّه ورسوله ، ويحبُّه اللّهُ ورسولُه ، لا يُوتي الدُّبر ، يَفْتح اللّه ـ عز وجلّ ـ على يديْه .

ولم يكن أحدٌ من الصحابة ، لهُ منزلةٌ عند النبي « ﷺ » ، إلاّ وتمنّى أن يُعطى الراية ، ويكون ذلك الرجُل .

---

(١) الشقيقة : الصُداع النصفي .

فلمّا أصْبَح النّاسُ غدوا على رسول اللّه « ﷺ » وكلهم يرجو أن يُعطاها ، ولقد رُوي عن « عمر بن الخطاب » - رضي اللّه عنه - قوله : ما أحْبَبْتُ الإمارة إلاّ ذلك اليْوم .

وبعث رسول اللّه « ﷺ » إلى « عليّ بن أبي طالبٍ » - كرَّم اللّه وجهه - وكان أرْمد شديد الرَّمد . . . ، فقيل : يا رسول اللّه إنه يشتكي عينيْه ، فقال : من يأتيني به ؟ فذهب إليه « سلمةُ بن الأكْوع » - رضي اللّه عنه - وأخذهُ بيده يقوده حتى أتى به النبيَّ « ﷺ » وقد عصب عينيْه .

فعقد له لواءه الأبيض . . .

فقال « عليّ » : يا رسول اللّه إني أرمدٌ كما ترى ، لا أبْصر موضع قدمي ، . . .

فوضع « عليه السلام » رأْس « عليّ » في حجْره ، ومسح له عينيْه بكفّه الشريفة ، فبرأ حتى كأن لم يكن بهما وجع . . .

قال « عليّ » - رضي اللّه عنه - : فما رمدْت بعد يومئذٍ .

وروي عن « حُذَيْفَة بن اليمان » - رضي اللّه عنه - قال : لما تَهيّأ « عليٌّ » - رضي اللّه عنه - يوم « خيْبر » للحملة ، قال رسول اللّه « ﷺ » : - يا « عليّ » ، والذي نفسي بيده إن معك مَنْ لا يخذلك ، هذا « جبريل » عن يمينك بيده سيف لو

ضرب به الجبال لقطعها ، فأبشر بالرضوان والجنة ، يا « عليّ » إنك سيِّد العرب ، وأنا سيِّد ولد آدم .

كما ألبسه درْعه ، وشدّ « ذا الفقار » ـ الذي هو سيفه ـ في وسطه ، وأعطاهُ الراية ، ثم وجّهه إلى الحصْن .

وخرج « عليٌّ » ـ رضي اللَّه عنه ـ يهرول حتى ركّز الراية تحت الحصْن ، فاطّلع عليه يهودي من رأس الحصْن ، فقال : من أَنْت ؟ قال : « عليٌّ بن أبي طالب » . . . ، قال اليهودي : عَلَوْتَهم ، والتوراة التي أنزل اللَّه على « موسى » . . .

ثم خَرَج إليه أول فارسٍ من الحصْن ، وهو « الحرث » أخو « مَرْحب » ، وكان معروفاً بالشجاعة . . . ، فوثب إليه « علي » ، فتضاربا وتقاتلا ، فقتله « عليّ » ـ رضي اللَّه عنه ـ وانهزم بقية فرسان اليهود إلى داخل الحصْن . . .

ثم خرج إلى « عليٍّ » « مَرْحبُ » أخو « الحرث » ، وقد لبس درعين ، وتقلّد بسيفيْن ، واعتم بعمامتيْن ، ولبس فوقهما مغْفراً ، ومعه رمُح له ثلاثُ شُعب . . . ، وكان يرتجز :

قد عَلِمَتْ «خيبر» أنّي «مَرْحَبُ» شاكي السِّلاح بطلٌ مُجرَّبُ
إذا الحـروب أقبلتْ تَلَهّبُ

فتصدى له « عليٌّ » ـ رضي اللَّه عنه ـ وهو يقول :

أنا الذي أَسْمَتْني أُمّي «حَيْدرة»[1]   كليْث غاباتٍ شديد القسْورة
أكيلُكُم بالسَّيْف كيْل السّنْدرة

فحمل « مرحبُ » على « عليّ » ـ رضي اللَّه عنه ـ وضربَهُ فطرح الترس من يده ، فتناول « عليٌّ » باباً كان عند الحصْن فتترَّس به عن نَفْسه ، فلم يزل في يده وهو يُقاتل حتى فَتَحَ اللَّه عليه الحصْن .

ثُم إن « عليّاً » ـ كرَّم اللَّه وجْهه ـ ضَرَب مرحباً ، فتترَّس ، فوقع السيف على التِّرس ، فقدَّهُ وشَقَّ المغفر وفلق هامة « مرحب » حتى أخذ السيف في الأضراس .

وإلى ذلك أشار بعض الشعراء في قوله :

وشادِنٍ أبصرته مُقْبلا   فقُلْتُ من وجدي به مرحبا
قدَّ فؤادي في الهوى قَدَّةً   قدَّ «عليٍّ» في الوغى «مَرْحبا»

ثم إن اللَّه تعالى فتح ذلك الحصن ، وهو حصْن « ناعم » ، أول حصون « النّطاة » على يد «علي بن أبي طالبٍ » ـ رضي اللَّه عنه ـ ؛

وتتابع الفتح ، وسقطت حصون « خيبر » واحداً تلْو الآخر ، وهي : « النّطاة » و « الصّعب » و « ناعم » و « قلعة

(١)

الزُّبير » و « الشق » و « القموس » و « بري » و « حصنُ أُبَيّ » و « الوطيح » و « السلالم » . . .

ووضع النبيُّ « ﷺ » يده على كنز آل « أبي الحُقَيْق » وكان في مِسْك(١) جَمَل ، وكانوا قد غيَّبوهُ في خربة .

اسْتَسْلم يهودُ « خيبر » ، واشترطوا لرسُول اللَّه « ﷺ » على أنفسهم شروطاً منها أن لا يكتموهُ شيئاً ، فإن فعلوا فلا ذِمَّة لهم ؛ وهذا مما أدَّى إلى إهراق دم بعضهم مِمَّن كذب على رسُول اللّه « ﷺ » وكتمهُ مواضع الكنوز والسلاح والمؤ ن ، أمثال « كنانة » و « الربيع » من آل « أبي الحقيْق » .

وتمَّ الصُّلْح على حقْن دماء المقاتلة ، وترك الذرية لهم ، ويخرجون من « خيبر » وأرضها بذراريهم ، وأن لا يحمل أحدٌ منهم إلاَّ ثَوْباً واحداً .

وبقي بعضٌ منهم في ديارهم ، ليعملوا في أرضهم بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع ، والشطر الآخر للمسلمين ، ومما قاله « عليه الصلاة والسلام » لهم : [إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم] .

واسْتمروا على ذلك إلى خلافة سيدنا « عمر بن

---

(١) أي جلده .

الخطاب » ـ رضي اللَّه عنه ـ إذ وقعت منهم خيانة وغدر لبعض المسلمين فأجلاهم إلى الشام ، بعد أن استشار كبار الصحابة في شأنهم .

٣ ـ المستخلصات

من نافلة القوْل تكرار ما سلف من المُسْتخلصات لنتائج المعارك التي خاضها رسول الله « ﷺ » مع اليهود من سكان « يثرب » . . . ، لأنّها هي عينُها التي أَسْفرت عنها غزوة « خيبر » ، اللَّهُمَّ إلا أن تكون هناك بعض المستجدّات مثل بروز فرسان اليهود إلى الميدان لمصاولةِ أبطال المسلمين ، كما فعل « الحرث » وأخوه « مرحب » ، وهذه الظاهرةُ في « خيبر » ليست في واقع الأمر دليلاً على الشّجاعة أو المواجهة ، لأن فرداً واحداً لا يمكنُ أن يكون قياساً !!!

ولقد نهج أهلُ « خيبر » نفس نَهْج مَنْ سبقهم مِنْ اليهود في « يثرب » : « بني قَيْنُقاع » و« بني النضير » و« بني قُريظة » . . . ، إذ آحتموا في حصونهم ، وأغلقوا أبوابها عليهم ، وقاتلوا بالنبال والسهام من فوق الأسوار . . . ، بحيث لا تطالُهم سهام المسلمين ونبالُهم إلاّ في القليل النادر . . ، فهم في موقع آستراتيجي أقوى وأسْلم . . . ، لكن الأمر لم يدُم طويلاً ، فوقعوا في شرِّ أعمالهم ، وسقطوا في الفتْنة ، ونُقبتْ

عليهم الجُدْران ، وفُتحت الثغرات . . . . ، وتدفّق فرسان المسلمين وأبطالهم الى داخل الحصون . . . ، واسْتَسْلم يهود « خيبر » .

أمّا ما جدَّ فعلاً في المستخلصات والنتائج فهو مصالحة بعضهم على الإقامة والاستمرار في « خيبر » ، يزرعون ويستثمرون ، ثم يُشَطّرون الغلال .

ولقد شُرِطَ عليهم في عهد الصلح أن إقامتهم مرهونةٌ بسلامة سلوكهم ، ومرتبطة بإرادة القيادة الإسلامية .

وهذا ما يعبِّر عنه قول النبيِّ « ﷺ » :

- [إذا شئْنا أن نُخْرجكم أخرجناكُم . . .]

ولعلّنا لا نعدو الحقيقة التاريخية إذا ما قُلْنا بأن تشطير الغلال ، واستمرار الإقامة المشروطة ، يرمزان إلى أن يهود « خيبر » قد انتقلوا من واقع (المُلّاك) أصحاب الأرض إلى واقع آخر ، هو واقع (الأُجراء) . . .

وأيضاً . . .

فإننا لا نظلم الحقيقة التاريخية إذا ما قُلْنا بأَنّ الجنس اليهودي لا عَهْد له ولا وفاء عنده . . .

لنسأل أنفسنا والتاريخ الى أي مدى زمني استطاع اليهود من أهل « خيبر » المحافظة على هذا العهد ؟

والجواب : هو أَنّهم ما كادوا يظنُّون بأَنَّ فرصتهم قد سنحت ، ويتوهّمون بأن ساعة خلاصهم قد حانت ، (وذلك في زمن خلافة سيدنا « عمر بن الخطاب » ـ رضي الله عنه ـ) ؛ حتى أظهروا الغدر والعداوة ، ولم يكن قد مضى أكثر من عقديْن من السنين على مصالحتهم ، وإقرارهم على الأرض ، وفي الديار . . .

(هـ) متفرِّقات

مع مطلع السبعينات كنت مُسْتَغرقاً في كتابة سلسلة (الأبطال) ، وهي عبارة عن إعادة تصوير الشخصيات القيادية الإسلامية ، من صحابةٍ وتابعين ـ رضوان الله عليهم جميعاً ـ بأسلوبٍ قصصيّ يتناسبُ مع أذهان وأسنان الأطفال والفتيات ، مع التركيز على بعض النواحي الهامة في تراثنا لإحيائه في وجدان الجيل المعاصر والمستقبل .

وذلك إحساساً منِّي بجزءٍ من مهمّة المسؤولية الملقاة على عاتقنا في التربية والتوجيه والبناء .

وكانت طبيعة هذا العمل تقتضيني الغوْص في مراجع كثيرة من أبرزها وأهمها كُتُب الأعلام والتاريخ والسيرة ، وغيرها .

ولقد وقفْتُ على أحداثٍ ووقائع توقفت عندها طويلاً ، متأمّلاً .. دارساً .. مُعْجباً ....

ويبدو أنَّ المعركة مع الصهيونية التي كانت ـ وما تزال ـ تخوضها أمّتنا ، ثم بروز كلمة : « فدائي » ... ، أو « فدائية » بشكْلٍ طاغٍ وقويّ ، ربط في ذهْني بيْن أحداثِ التاريخ وبيْن شعارات الحاضر وتطلعاتِهِ .

لذا عكفْتُ على كتابة سلسلةٍ أُخرى بعنوان : « فدائيُّون في الإسلام » ؛ وكان من بيْنها ثلاثُ حلقاتٍ تدور أحداثها حوْل ثلاث شخصياتٍ يهوديّةٍ كانتْ تقيم في « يثرب » و « خيبر » ... ، وانتهت جميعُها بالقضاء عليهم ، والخلاص من شرورهم وأذاهم .

وبالصُّدفة إطلع أحد الإخوة مِمّن كانوا ينشطون في إنتاج المسلسلات التليفزيونية على هذه الحلقات فأبدى إعجابُه بها كمادةٍ قصصية مناسبة ، لكنَّه أبدى تَحفُّظاً ، وعلق بقوله : [لا نريدُ أَنْ نُصوِّر النبيَّ « ﷺ » رجلاً متعطّشاً للدماء ، جلّ همِّه أن يرسُم لأعْوانِهِ وأصحابه مؤامرات الاغتيال والقتْل الغادر ...] .

ودخلْنا في نقاش حوْل الموضوع ، وحوْل الشخصيات اليهودية الثلاثة :

« كعْب بن الأشرف » و « أبي عفْكٍ » و « سلّام بن أبي الحُقَيْق » ، وانتهينا إلى ما يلي :

أوّلاً : أن هؤلاء الثلاثة قد آرتكبوا بحق الإسلام والمسلمين ما يستوجب القضاء عليهم والخلاص منهم .

ثانياً : أن لكُلّ عَصْرٍ زمنيّ عُرفهُ وتقليده .

ثالثاً : أن بعض الحقائق لا تتغيَّر ولا تتلوَّن مع مرور الزمن ، فهي ثوابت قائمة ، لا تحول ولا تزول .

رابعاً : أنَّ ضرورة المعركة مع الصهيونية تقتضي إبراز هذه الأحداث التاريخية في الواقع المعاصر ، كي نستفيد من أُسْلوبها وغايتها ، ونُذْكي في نفوسُ (فدائيينا) المعاني والقيم الإسلامية حتى لا يظلُّوا ـ كما هو الحال ـ أسرى (غيفارا) وغيره . . . !

ولم يكُن غرضي من النقاش إقناع محاوري بضرورة العمل على إخراج هذه المسلسلات الى حيّز التنفيذ ، من أجل الكسب المادي والأدبي . . . ، بل هدفتُ إلى إحقاق الحق فقط .

ولقد كان له من واقع وجهة نظره وظروف عمله ما شغله ـ أو صرفه ـ عن تحقيق المشروع .

وأخيراً . . .

فإن المناسبة بيْن هذه المتفرقات وبيْن موضوع البحث [معارك النبي « ﷺ » مع اليهود والاستراتيجية العربية الموحدة] قائمة متماسكة ، وذات صلةٍ وثيقة ، فما الأعمال (الفدائية) المتكاملة بشخصياتها وتنظيمها وتنفيذها ـ على عهد النبي « ﷺ » ـ إلا جُزءاً مِنْ معاركه .

الفصل الثالث



(أ) بيْن الماضي والحاضر

إن كثيراً من ظروف وأسباب ووقائع التواجد اليهودي في شبه الجزيرة العربية قديماً ، تتشابه وتتماثل مع الظروف والأسباب والوقائع التي أوجدتهم اليوْم في قلْب العالم العربي ، في فلسطين . . .

فلقد نَزَلوا في « خيبر » « ويثرب » لاجئين ، هروباً من الاضطهاد والتشريد والسَّبْي .

ثُمّ تسلَّلوا إلى صميم وقَلْب المجتمع العربيّ القبليّ بالأساليب التي اشتهروا بها وعُرفت عنهم ، والتي هي من صميم تكوُّنهم النفسيّ والوجداني عبر أحقاب الزمن .

واستمدُّوا سُلطانهم أساساً ، وسيطرتهم ، من الخلافات التي استحكمت وتأصّلتْ بين قبيلتيْ « الأوْس » و « الخزرج » ،

بالإضافة إلى عوامل أُخرى جانبية لا ترقى الى مرتبة ضِعف الخصْم .

وفي التاريخ المعاصر تتكرَّر الصورة ؛ ويتكرّر المشْهد على مسرح الزمن . . .

فنتيجةً لعوامل سياسية واقتصادية واجتماعية تبعثر اليهُودُ وتشرذموا في مختلف بقاع العالم ، لكنَّ ثقلهم العدديّ كان في أوروبا . . .

ونتيجةً للتعاليم المحرّفة التي يضمها [التلمود] بدلاً من « التوراة » تأصلت لديهم نزعات عقائدية ووجدانية ونفسيّة راحت مع مرور الزمن تحركهم وتدفعهم نحو غاياتٍ وأهداف . . . ، واستطاعوا بسرّيةٍ ودهاء ونفوذٍ ماليٍّ واسع أن يكونوا على مستوى القيادات الأوروبية ، ويكونوا أيْضاً وراء أحداثٍ فذّةٍ متميِّزة ، حتى إن الثورة الفرنسية (١٧٨٩) لم تسلم مبادؤ ها وشعاراتها من لَمْسة أيديهم ؛ وغيرها كثير . . ، وكثيرٌ جداً .

ومع بلوغهم هذا النفوذ الواسع ، لكنهم ظلّوا من غير كيانٍ سياسي متميّز ، يؤ هلهم للتجمُّع والوحْدة .

ولقد أدرك كثيرٌ من رجالاتِ أوروبا القوميّين الخُلَّص خُطُورة العنصر اليهودي على العباد ، وعلى البلاد ، فوقفوا في

وَجْههم ، وصدّوا تيارهُم الزاحف ، واضطهدوهم أيما اضطهاد ، مما اضطر عدداً كبيراً إلى الهجرة . . .

وبدأت عمليّة اللجوء إلى فلسطين كشعارٍ تاريخيٍّ للشعب اليهودي ، وحمى دينيّ ، وذلك في غفلةٍ من الخلافة العثمانية التي شُغلت بحروبٍ كثيرة ومتعددة ، وسطْوٍ أجنبي له طابع العمالة على مقادير السُّلْطة ، مما أضعف الدولة من داخلها وهددها في كيانها . . . ، ورغم كل هذا فقد كانت السلطة العثمانية بين الحين والحين تستفيق من غيبوبتها فتحاول جاهدةً الحدَّ من أطماع اليهود في فلسطين ؛ **ولجوئهم** إليها كي تكون قاعدتَهم السياسية في بناء الكيان المنشود .

جاء في مقدمة كتاب (الدولة اليهودية)[1] لِـ « تيودور هيرتزل » - ١٨٩٥ م - :

[إن الفكرة التي عرضتُها في هذه النشرة فكرة بالغة القِدم ، وأنها استعادة الدولة اليهودية .

إن العالم يعجُّ بالصراخ ضدَّ اليهود ، وهذا الصراخ هو الذي أيْقظ هذه الفكرة من سباتها .

إن كتابي لا يضمّ شيئاً جديداً لم يكن معروفاً من قبل] .

---

(١) كتاب : [(The Jewish State) By : Tucodor Herzel] .

وهنا يبرز سؤال :

ـ هل كان في تصميم « هيرتزل » وعَزْمِهِ أن تكون فلسطين ـ بالذات ـ هي موطن الكيان السياسي للشعب اليهودي ودولتِهِ المبتغاة ؟

يقول « هيرتزل » في كتابه الآنف الذكر :

[نتيجة العداء للساميّة شعر اليهود المضطهدون بالكراهية للذين يضطهدونهم ؛ وهذا بدوره يزيد من الاضطهاد لهم ، وهكذا تدور المشكلة في حلقةٍ مفرغة] .

ثم يتساءل عن الحل ، فيقول :

[الحلُّ في أن يُمْنح اليهود السيادة على جُزءٍ من الأراضي يمكّن اليهود من أن يعيشوا حياتهم كأمة . .] .

[إن إقامة دولةٍ جديدة ليس بالشيء المستحيل ، وستُكلَّف وكالتان متخصصتان القيام بهذا العمل ، هما : (جمعية اليهود) و (الشركة اليهودية) ، وسَتُخَوَّل الجمعية السُّلطات للتفاوض مع الحكومات بكوْنها ممثِّلة للشعب اليهودي ، وسيكون هدفها خلق الدولة اليهودية ، أما الشركة فهي لتمويل هذه العمليات] .

ثم تساءَل :

[هل ستكون الدولة في فلسطين أم في الأرجنتين ؟] .

ثم أجاب :

[إن الجمعية هي التي ستُحدِّد . . . ، وإن الأرجنتين من أخصب بقاع العالم ، ومساحتها كبيرة ، وتعداد سكانها ضئيل ، وجوّها معتدل . . . ، ولا شك أن جمهورية الأرجنتين ستجني مكاسب هائلة من وراء إعطائنا قطعةً من الأرض .

أما فلسطين ، فلها ذكريات تاريخية ، وإن مجرّد ذكر اسم فلسطين يثير شعبنا ويحفزه ، وإذا ما وافق السُّلطان على إعطائنا فلسطين فإننا في مقابل ذلك سنتعهّد بتنظيم الأحوال المالية لتركيا . . .] .

وفي حال موافقة السلطان العثماني يقول «.هيرتزل » في يومياته :[1]

[نصرف عشرين مليون ليرة تركية (عثمانية) لنُصْلح الأوضاع المالية في تركيا ، ندفع من هذا المبلغ مليونين بدل فلسطين .

وهذه الكمية تستند على تحويل رأس مال من مدخول الحكومة الحاضر الذي هو ثمانون ألف ليرة تركية في السنة .

وبالثمانية عشر مليوناً تتحرر تركيا من بعثة الحماية

---

(١) يوميات (هيرتزل) .

الأوروبية أما أصحاب الأسهم من الفئات الأولى والثانية والثالثة والرابعة فسوف نحملهم على الرضى بإزالة البعثة وذلك بإعطائهم امتيازات خاصة (فوائد أعلى وتمديداً للملكية . . . الخ)] .

ماذا كانت ردَّة الفعل لدى السُّلطان [عبد الحميد] إزاء هذه العروض[1] ؟

يقول السلطان [عبد الحميد] :

[لا أقدر أن أبيع ولوْ قدماً واحداً من البلاد ، لأنها ليست لي بل لشعبي ، لقد حصل شعبي على هذه الأمبراطورية بإراقة دمائهم ، وقد غذوها فيما بعد بدمائهم ، وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا .

لقد حاربت كتيبتنا في سورية وفلسطين ، وقتل رجالنا الواحد بعد الآخر في بلفنة لأن أحداً منهم لم يرض بالتسليم ، وفضلوا أن يموتوا في ساحة القتال .

الأمبراطورية التركية (العثمانية) ليست لي وإنما للشعب التركي ؛ لا أستطيع أبداً أن أعطي أحداً أي جزء منها .

ليحتفظ اليهود ببلايينهم ، فإذا قسمت الأمبراطورية

(١) يوميات (هيرتزل) .

فقد يحصل اليهود على فلسطين بدون مقابل ؛ إنما لن تقسَّم إلا جثثنا ، ولن أقبل بتشريحنا لأي غرضٍ كان] .

إذاً . . .، فإن دعوى الحق التاريخي اليهودي في فلسطين لم يكن في واقع الأمر إلا تكئةً أَوْ تعلّة . . .

فـ « هيرتزل » وأمثاله من روّاد الحركة اليهودية في القرن التاسع عشر **كانوا يبحثون عن وطن** ، عن كيانٍ سياسي . . .، **ولا يهمهم أن يكـون ذلـك في (الأرجنتين) ، أو في (أوغندة) ، أو في أي مكانٍ آخر من العالم . . .، وهم على استعدادٍ أن يشتروه بالمال . . .، أما فلسطين . . . فلا تعدو أن تكون ذكرى تاريخية تستثير العاطفة .**

ثم آلتقت نزعة الحقد الصليبي مع الغدر الصهيوني ومكره وذهبه . . . ، فكان (وعد بلفور) ، ليزرعوا جميعاً في قلب الوطن العربي الإسلامي سرطاناً خبيثاً . .

فكان التواجد اليهودي في فلسطين على مراحل ثلاث : اللجوء أوّلاً ، ثم التسلّل ثانياً ، والاغتصاب ثالثاً .

وكان الانتداب البريطاني على فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى ، خير سندٍ وأعظم عونٍ على استفحال التواجد اليهودي .

وبدأ الورم الخبيث يستمد غذاءه من الخلافات العربية ،

وتقطُّع أوصال الأمّة وتمزُّق وحدتها ، وانتكاساتها التاريخية بعد إلغاء الخلافة ، ووقوعها حتى ما بعد الخمسينات ، في أجزاء منها ، تحت أقدام الاستعمار ، يدوسها ويكتُم أنفاسها ، ويبدّد قواها ، ويستنزف خيراتها .

وكأنّي بـ « الأوْس » و « الخزرج » قد عادتا الى الظهور من جديد متمثلتين في جاهلية الأمة العربية في القرن العشرين .

صراعٌ على السلطة واختلاف على النفوذ ، وضلالٌ عن الحق .

وكأَني بـ « بني قينقاع » و « بني النضير » و « بني قريظة » قد عادوا أحياء . . . ، يذكون نار الخلاف ، ويُورون زنده كلما خبا أَوْ كاد ، ويجنون من ثَمَّ المكاسب والأرباح .

[إن كُلَّ طلقةٍ من بندقية يهودي إنما هي قطراتٌ من بترولنا] .

ونسأل : من الذي استنقذ « الأوس » و « الخزرج » من براثن اليهودية ، وخلّصهما من بيْن أنيابها ، وحرَّرهُما من طغيانها وسيطرتها واستبدادها ؟

من الذي قضى على هذا الداء الوبيل والمرض الخبيث واستأصله من قلْب شبه الجزيرة العربية ؟

هل هي قُرَيْش ؟ قمة العنصريّة العربيَّة في جاهليتها ووثنيّتها واستغراقها في حمأة الرذيلة ، والإنحلال الاجتماعي !!!

أم يا تُرى إحدى القوتين العُظْميين اللتين كانتا تتنازعانِ النفوذ على العالم آنذاك ، الفرْس والروم !!؟

أم آسترخاء أوهام وتطلُّعات أحلام ؟!

بل الإسلام . . . ، والإسلام وحده . .

الإسلام بعقيدته الحقة ، ونُبوَّته العظمى ، وشريعته الهادية ، وجهاد الحق للباطل ، الماضي الى يوم القيامة .

بعقيدته التي مسحت غشاوات الجهل ومسّت شغافِ القلوب فأحالت الإنسان قُوَّة عظمى واعية ، آمنة مطمئنة ، أَدْركت الصراط المستقيم فعبرت مسيرة الحياة فوقه ، لا تتزلزل ولا تتلجْلَج . . ، ولا تضطرب أو تزيغ .

ونُبُوّتِهِ العُظْمى التي كانت آية الآيات في الخُلُق ، والقدوة المثلى ، والأُسوة الحسنة ، والتي انبثقت من ليل الجاهلية ، المظلم الحالك ، نوراً ربّانيّاً يكشف الغياهب ويُبدِّد الحُجُب ، ويمزّق أستار الضلالة .

وشريعته الهادية التي كانت وما تزال الدستور السماويّ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديْه ولا من خلفه . . . ، عنوان الحق ، ومصدر الخير ، وسبيل الفلاح .

وجهاد الحق للباطل التي تضطلع بعبئه خير أمةٍ أُخرجت للناس ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؛ و . . . تؤمن بالله .

إنه ديْدنها ومبدؤ ها ورسالتها . . . ، في كُلّ ميدان وفي كلّ آنٍ . . . ، به حياتها وآستمراريّتها وخلودها ، إن تخلَّتْ عنه تعثَّرت وسقطت ، وتخلّفتْ عن ركْب الحياة ، وقبعتْ في زوايا النسيان ! !

بهذه المعطيات ، وبهذه القواعد الثابتة ، والمنطلقات البنّاءة ، تحرّرت « يثرب » من رِجْس انحراف « بني اسرائيل » وضلالتهم وزيْغهم ، وتحرّرت « مكة » ـ أم القرى ـ من داء الجهْل والوثنية . . . ، وانطلقت جيوش الفتْح الى العالم تحمل إلى الإنسان في كل مكانٍ العلم والإيمان .

القارىء العزيز :

إن العملية الانقلابية الشاملة التي خرجت بالعرب من الظلمات إلى النور ، من الوثنية إلى التوحيد ، ومن الفرقة القبليّة إلى وحدة الأمة، ومن الانحلال إلى الاكتمال، ومن فوضى العُرف والتقليد إلى النظام السياسي والاجتماعي ، ومن التشتُّت والضياع إلى إدراك الذات للذات ، ومن التَّبعيّـة(١) والعمالة(٢)

---

(١) تبعيَّة الشمال الشرقي (المدينة وخيبر) من شبه الجزيرة للسلطان اليهودي .
(٢) عمالة الغساسنة للروم والمناذرة للفُرْس .

إلى التحرُّر واستقلال الرأي والإرادة ، ومن الصحراء القاحلة الجرداء إلى رحابة الآفاق والأرجاء ، ومن الضُّمور التاريخي والانزواء الحضاري إلى مقام القيادة والريادة . . .

هذه العملية الانقلابية، رغم أن التاريخ شاهدٌ حيٌ عليها ، ينطق في كل حينٍ بآلائها ، ويذكِّر بمنجزاتها . . . ، ما تزال في نجوةٍ عن عقولنا ومداركنا . . . ، لعلّها تمسُّ المشاعر والوجْدانات ، وتثير العواطف والاحساسات ، ولكن بينها وبيْن العقول والأفهام أكثر من (حجاب) . . .

فهل هذا الحجاب الحاجز قصورٌ في الفهم ، وإعاقة عن النضوج ، أم أنّه حالة فقدان الذاكرة ؟

أو هو حالة انغماسٍ في وحولِ وثنيّةٍ جديدة ؟
أم تراهُ ضياعٌ وتشرُّد ؟

أوْ هُو « قرشيّةٌ » جديدة . . . تأبى الهداية ، وتستنكف عن الحق ، وَتَزْوَرّ عن النُّور ؟ ﴿ **وكأنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفرة * فَرَّتْ من قَسْوَرَة** ﴾ !! ؟ .

فهلْ من وقفةٍ هادئة . . . ، نراجعُ فيها واقعنا ، ونسأل أنْفُسنا دُون تشنُّجٍ ودون مؤثرات .

١ ـ من نحن ؟
٢ ـ وما موقعنا الحضاريّ المعاصر ؟

٣ ـ وإلى أين نسير ؟

ورُويْدكم في الإجابة . . .

لأنها صعبة ، وقاسية . . . ، ومريرة . . .

ولأننا لا نريد أن ندخُل في نقاشٍ وجدل ؛ وصدق سيدنا « عمر بن الخطاب » ـ رضي الله عنه ـ إذ قال : [إذا أراد الله بقوْم سوءاً منحهم الجدل ومنعهم العمل] .

وإذا ما أجبْنا بصدقٍ وصراحة على هذه التساؤلات ، ثم عرفنا أنّ هويتنا الإسلامية قد تغشاها الزيف ، وأن موقعنا الحضاري في تَخلُّف ونكوص ، وأن مسيرتنا إلى المجهول . . . ، كان ذلك أوّل مراحل الوعي الجماعيّ الصادق ، وأنَّنا بالفعل قد وضعنا أنفسنا على عتبة الحقيقة ، وأول درجات سُلّم التّغيير والنهوض . . .

فهل من سبيل ؟ !

وهل فينا رجُلٌ رشيد !! ؟

لقائل أن يقول : ولماذا تصرون على الماضي دائماً وأبداً ؟ يكفينا الواقع ، بل هو أسلم وأضمن ، لأن فيه من المستجدات ما لم يدركه الأوائل ، ولعل ثغرةً منها يكون فيها الهلاك .

ونُجيب :

بأن ماضي أَيَّة أُمةٍ من الأُمم جزءٌ من حياتها، والحياة لا

تقطّع ولا تُفَصّل . . . ، وشَأْنُهَا في هذا شأنُ الأفراد ، والأمّة التي لا تعْتبر من ماضيها ، أَوْ تتناساه . . . ، هي أمة تتنكّر لذاتها وحياتها ، و . . . مستقبلها .

وتقول لك أيضاً :

هل تستطيع أنت بالذات أن تَفْصِلَ بين أَمْسِك الدابر ويومك الحاضر ، بمتطلباتهما والتزاماتهما ومؤثراتهما ؟ .

إنهما بالنسبة لك وحدة زمنية متكاملة . . .

هل تنسى ـ مثلاً ـ شخصاً أساء إليْك بالغدر والحيلة والنفاق منذ سنوات ، أو أيام !!! ثم أراد أن يُعيد الكرَّة ! ؟ ألا تتعظ من (الماضي) ؟ !

وليس ماضينا الذي نركّز عليْه بالأمْر العادي . . . مما جرى به ـ وعليه ـ عُرف المجتمعات والأُمم في التاريخ ، أو تقاليدها وعاداتها . . . ، أبداً . . . أبداً . . . ،

إنّه أَعْظم تغيير في حياة البشرية على الإطلاق ، وعلى مدى مئات القرون . . ، إنه خاتمة الرسالات السماوية لأهل الأرض . . . ، إنه أسمى قيادةٍ دينيَةٍ وسياسيّـةٍ واجتماعيـة وعسكريةٍ عرفها الجنس البشري . . .

هذا الماضي فيه ثوابت لا تتغيًر ، وحقائق لا تتلوًن ، شأن الحق والعدْل الأزليَّيْن ؛ فهي التي تعنينا في حاضرنا ومستقبلنا ،

وهي التي نعنيها قدوةً ومثلًا .

أما المستجدّات فلا نُصِمُّ الآذان ولا نغشّي الأعيُن عنها . . . ، وهي ـ على كُلّ حال ـ الأشكال الماديّة المترقّيَة مع التقدّم العلمي والإنجاز الحضاري ، وهي أوّلًا وأخيراً أداةٌ تخضع في الحركة للإرادة الإنسانية المنبثقة عن الثوابت والحقائق . . .

(ب) ماذا يعنون بالاستراتيجيّة الموحَّدة ؟

منذ ما يزيد على نصف قرنٍ من الزمان ومعركتنا مع الصهيونية على أشدها ، تتّخذ أشكالاً وألواناً ، لم نستطع خلالها أن نُسجّل نَصْراً حاسماً على هذا العدوّ الدخيل ، الذي اغتصبَ الأرض ، وانتهك الحرمات والمقدّسات ، وشرَّد النّاس ، واستنزف من الطاقات ما لا يُحصى ويُعدّ . . .

بدأت المواجهة القتالية مع العدو الصهيوني في أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات ، بثوراتٍ وانتفاضات محلية داخل الأرْض الفلسطينية ، واستمرتْ حتى بداية الحرب العالمية الثانية ؛ ثم عادت إلى الظهور ثانيةً في مواقف سياسية تآمرت فيها الرأسمالية الغربية مع الشيوعية والصهيونية على إصدار قرارٍ

من الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين عام ١٩٤٧م؛ بيْن العرب واليهود .

هــذه الحقيقـة ، حقيقــة المؤامـرة (حيث اتفقت المصالح) : الرأسمالية والشيوعية والصهيونية ، لم تُؤْخذ عند العـرب وقـادتهم بعيْن الاعتبـار والـدرس ، أو التقــديـر والتحليل . . . ، ووضع الحلّ البديل ، بل ظلّوا في نهْجِهِمْ عل الـولاء، بعضهم للمعسكـر الشـرقي وبعضهم للمعـسكـر الغربي . . . يصطرِعون ويتنافسون ، والعدوّ الصهيونيُّ من ورائهم محيط ، يُجني - وَبِنَهَمٍ - ثمرة تمزُّقهم وخلافهم .

ومن عَجَبٍ أنَّ بعض القادة السياسيِّين ، ممَّن هُم في عمالةٍ مكشوفةٍ للمعسْكر الشرقي ، يدركُون ويعلمُون ، بل ويحفَظون ما قاله « أندريه جروميكو » وزير خارجية الاتحاد السوفييتي في حقّ العرب أو اليهود ، يوم كان مندوباً عن بلاده في هيئةِ الأمم لدى صدور قرار التقسيم سنة ١٩٤٧م ؛

من عجبٍ أنهم يعرفون ذلك ويعُونَهُ ، ثم لا يحذرون ولا يَرْعوون ، وكأنَّهُمْ في سكرة العمالة مُنْتَشون ؛

ثم بعد ذلك بالوطنية والقومية والتحرر يتشـدّقون ، وباستراتيجيةٍ عربيةٍ موحَدة يطالبون !!

إن من أبْسط القواعد في الاستراتيجية العسكرية هي

معرفة العدوّ ، ظاهراً كان أو مستتراً ، معرفته بكُلّ أبعاده وقدراته ومُناوراتِهِ ،

فهل عرفوا عدوُّهم وحدّدوه ، ثم قَدّروه حق التقدير ، وأعطوه حجمه !! ؟ لا نَظُنُّ ذلك .

وفي حركةٍ مسْرَحِيَّةٍ مكشوفة خاضت جيوش الدول العربية المعركة مع الصهيونية عام ١٩٤٨م ، تحت شعار الإحتجاج على قرار التقسيم والرفض له ، واستنقاذ الأرض العربية ، أما الواقع التاريخي فيشهد بأنها كانت مؤامرة ، الغرض منها امتصاص الغضبة الجماهيرية التي لفّت الوطن العربي من أقصاه إلى أقصاه ، وتبديد طاقته الحماسية . . .

ولم يكن الوعي السياسي والنضوج عند الجماهير العربية في مستوى الأحداث ، اللهُمّ إلاّ فئاتٍ قليلة لا تكادُ تؤثّر ولا تبين ، تطغى عليها جعجعة الإعلام ، وغوغاء المظاهرات والمسيرات ؛ فتتلاشى في هذا الخضم الواسع ، وتغرق . . .

كما تحرّكت إلى ساحة المعركة بعض الطلائع الجهادية من الشباب المؤمن ، ممن ينتسبون إلى بعض المنظمات والجماعات، أو الأفراد الذين وجدوا أنفسهم في قَلْب هذا الأتون الملتهب بدافعٍ من الإيمان . . . ، وذلك قبل دخول الجيوش الرسميّة إلى السّاحة . . . ، لكنّهم واجهوا عدوَّيْن :

الصهيونيّة من جهة ، والخيانة من جهة ثانية .

لقد كانت فورة . . . ، تحكمها ردّة الفعل . . . ، فمن الحتميّة المنطقية أن تنتهي إلى ما انتهتْ إليه .

إذ كانت في منطلقها وغايتها خِلْواً من أيَّة استراتيجية ، أو من تفكيرٍ بها على الأقل .

وتكرّست القضيّة الفلسطينية منذ ذلك التاريخ (قضيّةً عربيّةً) وليست (قضيّة اسلامية) سواء على الصعيد الرسمي للحكومات ، أو على مستوى الجماهير ، أو في المحافل الدولية .

ومن ثم كان هذا المفصل التاريخيّ فقداناً لركيزةٍ أساسية من ركائز الاستراتيجية السليمة ، والانزلاق إلى متاهاتٍ لا نزال نعاني منها حتى اليوم .

أما قوْلنا بأن القضية الفلسطينية قد تكرست أيضاً على المستوى الجماهيري (قضيةً عربية) إنما نعنيَ به الأحزاب التي تأثّرت بالنزعة القوميـة العنصريّـة ، أو الوطنيـة المحلية ، فاضطلعت بعبء الحشْد الجماهيري ، وتنظيم المسيرات ، ورفع الرايات والشعارات . . . والوجود الدائم في الميدان السياسي الشعبي .

أما السّواد الأعظم من الناس ، الذين لا ينتمون إلى جهةٍ

أو حزبٍ أو جماعةٍ ، أي المواطنون العاديُّون ، فإن هؤلاء لم يكونوا ـ على الأقل من حيث الشعور الداخلي ـ يفرّقون بين « عربية » و « إسلامية » . . . ، ولكنهم لا حوْل لهم ولا طوْل ، ولا قدرة على التأْثير المباشر . . .

أما التأثير غير المباشر فهم أَهْلُهُ . . . ، لأنهم القاعدة الجماهيرية العريضة ، التي تعطي وتحمي .

والدليل على ذلك حرب (أوكتوبر) ـ تشرين ـ عام ١٩٧٣م . . .

لقد أُطلق على العملية العسكرية في جمهورية مصر العربية إسْمُ « بَدْر » . . . ، وغزوة (بدر) كانت في رمضان ، وكذلك حرب (أوكتوبر) ـ تشرين ـ ، [أو العاشر من رمضان] .

ثم إن النِّداء الذي رافق العُبُور وتحطيم خط (بارليف) كان : (الله أكبر) ، ولا أَنْسى أن أحد أبطال العُبُور كان صائماً ، ولم يفطر إلا على جرعة ماء وحفنة من رمال سيناء .

هذا الحسّ الإسلامي ، لم يكُن مصطنعاً . . . ، لا عند القيادة ولا عند الجماهير ، وكلاهُما كان بحاجةٍ إليه .

وهذا الحسّ الإسلاميّ متمركزٌ في أعماق الوجدان لا يمكنُ لقوة مهما أُوتيت أن تقتلعه ، أو تدفنه ، أو تتغافل عنه .

وهذا الحسّ الإسلامي ضرورة استراتيجية في كل آنٍ ومكان ، ومن غيره نفقد أحد المعطيات الأساسية للنّصْر في أية معركة .

ومن التزوير على التاريخ أن يُتَّخذ هذا الحسُّ الإسلاميُّ مطيّةً . . .

بل هو خداع للنفس وللجماهير ، وسو العاقبة ينتظره ، عاجلًا أو آجلًا ، كما لا بُدَّ من أن يكون (القائد) ذاته على مستوى هذا الحس ، وإلا فإنه ينافق نفسه وأمّته . . . ، وويْل ثم ويْـل للمنـافقين **﴿ إن المنـافقين في الـدَّرْك الأسفـل من النّارِ ﴾**[1] .

ولعلّنا تجاوزنا في الحديث ، من الناحية التـاريخية التسلسليَّة ، حربيْن خاضهما العرب مع العدو الصهيوني ، حربٌ فُرضت عليهم وهي حرب العدوان الثـلاثي على مصر عام (١٩٥٦) ، وحرب عام (١٩٦٧) التي بلغ معها الحدُّ الغوغائي والديماغوجية السياسية أقصى مداهُما .

أما حرب العدوان الثلاثي عام (١٩٥٦) ، فقد كان للموقف الأمريكي ، والرئيس (أيزنهاور) ، الباعُ الطويل في

---

(١) سورة النساء ، آية ١٤٥ .

وقفها وحسْمها ، وذلك نتيجةً لرؤية سياسية ترتبط بمصالح الدول الكُبرى ونفوذها ؛ لا حُبّاً بالعرب ، ولا إيماناً أو اقتناعاً بحقوقهم .

عِلْماً بأن مِحْور المعركة لم تكن (فلسطين) وإنّما (قناة السويس) ؛ وكلاهما عند التحقيق جُزءٌ من معركتنا الكُبْرى .

أَذْكُرُ أَنَّني كُنْتُ أَسْتَمِعُ إلى تعليق إذاعِيٍّ من إذاعة القاهرة ، بعد التأميم وقبل العُدْوان ؛ وكُنّا طائفةً من المصطافين في إحدى قُرى لُبنان ، نتحلَّق حوْل المذْياع في المقهى . . .

وصَادَفَ أنْ قال المذيع عن قنال السويس : إنها قنال العرب ، والغرض من هذا التعبير واضح في استقطاب التأييد العربي للحق المصري في القنال .

فعلَّق أحد السامعين وكان صليبياً متعصّباً ، بقوْلٍ عَفْوي : [ولماذا قنال العرب . . ؟ بل قل قنال المسلمين] ، ثم هزّ رأسه مُسْتنكراً .

أَلَمْ أَقُل لك ـ عزيزي القارىء ـ أن فلسطين أو القنال . . ، أو غيرها إن هي إلا جزءٌ من معركتنا الكبرى مع الاستعمار الصليبي ، والحقد اليهودي والإلحاد الشيوعي !!!

أما حرب عام (١٩٦٧) . . . ، فقد كان لها مقدّمات

رهيبة ، على رأسها المدُّ الدعائي و « البروباغندا » السياسية ، مما شحن نفوس كُلِّ المواطنين العرب بحتميَّة النَّصْر . . . ، والتَّصور الجازم الحاسم بنهاية دولة إسرائيل (المزعومة) !! ؟

وكانت قِمَّة الغرور المؤتمر الصحفي العالمي الذي عُقد في الجبهة ، وطُرحت فيه أسئلة ، كانت الإجابة عليها غايةً في العنْجَهيَّة والعنتريَّة ، واستعراض العضلات من خلال الكلمات .

ومن جملة ما أَذْكُر هذا السؤال : وماذا لو دخلتْ إسرائيل المعركة فعْلاً ؟ [فقد كان قادتها حتى ذلك الحين لا يردُّون على التحركات والاستعدادات العربية] .

فكان الجواب [يا مرْحب خلّيها تجرِّب حظها معانا . . .] .

وكان يبدو لي في ذلك الحين ، أنَّ الغاية من كُلِّ ذلك هو الكسْب السياسي على الصعيد الإعلامي ، محليّاً وعربياً ودولياً ، ولم يكن صاحبُ القرار يقدّر احتمال الحرب إلا بنسبةٍ ضئيلة .

وفجأةً . . . صباح الخامس من (يونيو) - حزيران - جرّبت إسرائيل حظّها ، ولكن بتكتيك مدروس ، وخطةٍ مُحكمة ، ودهاءٍ ومكْر . . . و . . . غدر .

لقد تركتْ (بالون) الدعاية ينْتفخ وينتفخ . . . حتى بدتْ كما تُريد هي أن يراها الرأْي العام العالمي ، دولةً معتدىً عليها . . . ، أو حملاً وديعاً تحاول الذئاب الكاسرة من حوله أن تنقضّ عليْه لتفْتَرِسه ؛ ثُمَّ ضربتْ ضربتها الوقائية مقدّرة في آعْتبارها وقْع ذلك في الأوساط العالميَّة .

وكانت الهزيمة النّكراء والطامة الكُبْرى . . . ، والتي كان يحلو لصاحب القرار أن يسمّيها بالنَّكْسَة ؛ محاولةً في تخفيف وقْعها على النّفوس ، كما أطلق الدهاء الصهيوني من قَبْلُ على الرِّبا كلمة (فائدة) ليُسْتَسَاغ ويُقْبل - مثلاً - .

وكان من إفرازات هذه الهزيمة المنكودة بعض الصَّحوة التي تركتْ بصماتها على بعض القطاعات ، فظهرتْ بذور الثورة الفلسطينية متمثلةً بحركة « فتْح » . . .

كانت طاهرة طُهْر العذراء ، نقيّةً نقاء السَّماء ، تنبع من أصالةٍ إسلاميةٍ ، وهذا يكفيها من حيْث المبدأ . . . ، فخاضت بعض العمليّات ونجحت في لفْت الأنظار واكتساب القاعدة الشعبية العريضة ؛ سواء على صعيد الشعب الفلسطيني . . . أو على صعيد الجماهير العربية ؛ وأصبحت من ثَمَّ قوةً وأَمَلاً .

ولكن هلِ يتركها الاستعمار الصليبيُّ والإلحاد الشيوعي تأخذ مداها ، وتظفر بما تُريد ؟

إذاً لا بدَّ من التخريب ، ليس بالمواجهة ، ولكن من الداخل .

وبدأتْ عملية التَّسلُّل إلى قلب الحركة ولُبِّها ، وبدأ الزحْف إلى مراكز القيادة فيها ، فتلوَّنت بألوانٍ شتّى وبدأت تتراخى رويْداً رُوَيْداً عن أصالتها التي انطلقَتْ منها .

كما أُنشئت أجنحة أخرى للثَّوْرة تحت شعاراتٍ وشعارات ، أكثرها مشبوه وضالعٌ في العمالة ، تفضحه مواقفه واتصالاتُه ومواردُهُ السرِّيّة ؛ سواء كانت هذه العمالة للغرب أو للشرق .

وهنا ـ عزيزي القارىء ـ تخضُرني إحدى الثَّوابت الضروريّة في الإستراتيجية الإسلامية ، وهي نقاء الصَّفِّ الواحد من كُلِّ عميلٍ أوْ دخيل ، وهي التي تُغني عن الكثرة ، بل الواقع أن الكثرة في مثل هذه الحالات لا تأتي إلا بالضَّرر .

ففي بعض الغزوات كان النبيُّ «ﷺ» لا يستعينُ إلّا بمن حَضَرَ معه الموقعة السابقة ، كما فعل يوم « حمراء الأسد » عقب غزوة « أُحُد » ، وكما فعل يوم « بني قريظة » إثْر غزوة « الخندق » . . . ، رُغم أنَّ الراغبين في المشاركة كانوا من المسلمين . . . ، مفضّلاً الاستعانة فقط بمن حَضَر ، لأنَّهُ أحفَزُ وأنْشط . . . ، إنها ـ ولا شَكّ ـ خبرةٌ نفسيَّةٌ قيادية لم

يُبْلغها إلا « محمد بن عبد الله » ـ صلوات الله وسلامُهُ عليْه ـ

وأيْضاً . . .

فإنه « عليه السلام » قال في أكثر من موقع ، وأكثر من مرة . . . : [لن نستعين بمُشْرك] .

أما الكَثْرة التي تضمّ وتجمع دُون تحديد أو تمييز . . . أوْ يُسَايَرُ فيها ابتغاء النَّفْع والكَسْب ، فخيْر شاهدٍ على غثاثتها ما حدث في غزوة « حُنَيْن » . . .

لقد خَرَجَ مع النبيّ « ﷺ » إلى « حنيْن » لحرْب « هوازن » الألوف من الناس ، أكثرهم حديث عَهْدٍ ، بالإسلام ، لا همَّ لهُمْ إلاّ الفوْزَ بالغنيمة . . .

وقال قائل هؤلاء : [لن نُغْلب بعد اليَوْم من كِثرة] . . .

ولدى الصدمة الأولى تفرَّق أكثر الناس ، ولم يثبت مع رسُول الله « ﷺ » إلاّ القليل من السابقين ، من المهاجرين والأنصار ، وبِهِم ولهُمْ كانت الغلبة والنّصْر .

﴿ ويوم حُنيْن إذ أعجَبَتْكُم كثرتُكم فلم تُغْنِ عنكم شيئاً وضاقَتْ عليكم الأرضُ بما رحُبَتْ ﴾ .

وكما أعجبت هؤلاء كثرَتُهُم تُعْجب العرب اليوْم الكثرة دونما اَلْتفاتٍ وجداني أو اهتمام عقلاني بثابتةٍ من ثوابت

الإستراتيجية السليمة ، وهي : صفاء الإيمان ونقاء الصف .

فكثيراً ما سمعنا عبارات التّفاخر بالعدديّة ، وكأنها حقيقة من حقائق حتْمية الغلبة والنَّصْر ، من غير أن تَقتصر على جهةٍ رسميّة أو دعائية أو حزبية أو تنظيمية .

وكان مما أفْرزتْه هزيمة (يونيو) ـ حزيران ـ سنة ١٩٦٧ ، أيْضاً ، المناداة باستراتيجيّة عربيّة موحدة ، بقوّةٍ وصراحةٍ ووضوحٍ ـ هذه المرة ـ ولعل ردّة فعل الهزيمة الشنيعة هي التي أعطت المناداة هذا الطابع .

لقد عُقدت المؤتمرات ، على مُخْتلف المستويات . . . ، وبصرف النظر عن نتائجها السلبيَّة الدائمة ، أو أجواء انعقادها ، وما حفلتْ بِهِ من تياراتٍ واتجاهات ، وما تمخض عنها من ملفّاتٍ ووثائق ، بصرف النظر عن هذا كُلّه فإنها إنما انعقدت تحت مظلَّة (الديماغوجيَّة) السياسية ؛ وبروحٍ غير إسلامية .

ونعني بالروح الإسلامية : هَيْمنة العقيدة على الذات ، عقْلاً وحسّاً ، بحيث تحكم كل تصرُّف من خلال التصوُّر الذي ينبثق عن العقيدة ، إزاء كل شيء ، وتجاه كل حدث .

وبناءً عليه فإن مفهوم الإستراتيجية الموحَّدة يختلف باختلاف التصوُّر ، ولسوْف تبقى ذهنية القيادة أسيرةً للضياع

والإنهزامية طالما أنها بعيدة أو متنكِّرة للأصالة الإسلامية ، عقيدةً ، وتصوُّراً وآلتزاماً .

وليكُنْ من المعلوم الثابت الذي لا يرقى إليْه الشّك أنَّ النَّصْر من عند الله . . . ، فهلْ كانت هذه الحقيقة في آعتبار المؤتمرين ؟ وما هُو مدى الصّلة بالله سبحانه وتعالى من القادة والجماهير ، كَيْ تتحقَّق ـ أيضاً ـ معادلة : ﴿ **إنْ تنصروا الله ينصُرْكُمْ ويَثبِّتُ أقدامَكُم** ﴾ ؟

عزيزي القارىء :

إن هذه القاعدة الإيمانية التي هي جُزْء من العقيدة ، وما ينبثق عنها من تصوُّر ، لا تُغفل أبداً النواحي التكتيكيّة في مواجهة العدوّ ، أو الاستعداديّة . . . أو العمليّة . . . ، إذْ كُلّها متمّمات ، يتبع بعضها بعضاً ، على بصيرةٍ وهُدى .

(ج) الغزو الصَّليبي والصُّهْيوني والشُّيوعي . . . و . . . الهويَّة الإسلامية

في عملية مَسْحٍ تاريخية شاملة للعالم الإسلامي ، عبر القرون الطويلة ، وخاصةً في العصور القريبة العهْد ، تتّضح لنا

معالم قَدَر الأمة الإسلامية ودورها في استمراريَّة المعركة بينها وبيْن الكُفر .

ذلك أن المقارعة بيْن الحق والباطل حرْبٌ قائمة لا تهدأ ، حتى إن الهُدْنة لا دَوْر لها في هذا الصراع ، ولا وجود . . .

فالكُفْر كُلُّه مِلَّةٌ واحدة وإن اتّخذ أشكالاً وأَلْواناً مختلفة ، أو تزيّا بِزِيٍّ مُغاير .

فمثلاً الغزو الصّليبي الذي اجتاح العالم الإسلامي طوال قرنيْن من الزمان ، وتتابعت فيه الحملات العسكرية وجحافلها ، ثم آنثنى مقهوراً ، مذموماً مدحوراً . . .

هذا الغزو الصَّليبي عاد مرةً ثانية مع الحرب العالمية الأولى بنفْس الروح الحاقدة والنفسيّة المريضة ، ليثْأر وينتقم ، ويدمّر ويحطّم ، ويقطّع الأوصال ويشرذم . . .

فهل ننسى ـ مثلاً ـ مقالة الجنرال «غورو»[1]، بعد انتهاء الحرب وقد وقف عند قبر داحر الصليبيين ـ السلطان « صلاح الدين » ـ ليُردِّد :

[لقد عُدْنا يا « صلاح الدين »!!!] .

---

(١) قائد القوات الفرنسية التي دخلت دمشق في الحرب العالمية الأولى .

إنها ـ ولا شك ـ عبارةٌ لها أكثر من دلالة ، ومحطّة نتوقف عندها لنعتبر منها وَبها ، فهي تَقْطر بالحقد والتشفّي ، والنيّة السيئة المبيّتة .

ومن الجهْل الأعمى أن لا يستفيق الضمير المخدَّر بخدر القوميّة العنصرية ليدرك أن الهويَّة الإسلاميّة هي المقصودة ، وهي الهدف . . .

ولقد كان للغزو الفكري[1] ، الذي استهدف العقول الإسلامية ، قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها ، أَثَرُهُ الخطير على الحقبة الزمنيّة المتأخرة ، والتي امتدت إلى يومنا هذا . . .

إذ آستحدثت الزلزلة العقائدية طابوراً خامساً في قَلْب العالم العربي والإسلامي من أبنائه ، يعمل من غير وعْي أو كَللٍ لخدمة الصليبية الغربية ، وترسيخ أقدامها ، وإيصالها إلى أهدافها . . .

إن كُلّ دعوةٍ وطنيةٍ إقليمية ، أو قوميةٍ عُنْصرية في إطارهما المحدود ، وحَيِّزهما الضيق ، دونما اعتبارٍ للقوْل الرباني الكريم **﴿ وإنّ هذه أمتكم أمةً واحدة ﴾** ، إن هُما إلاَّ أداة خدمةٍ للغزْو الصّليبي وآستمرار تفوّقه وظهوره .

---

(١) يراجع في هذا كتاب (القومية والغزو الفكري) ـ جلال كشك ـ .

وكما أننا لم نَنْس مقالة الجنرال « غورو » . . . ، فإننا لن نَنْسى أيضاً مقالة « غلادستون » ـ رئيس وزراء بريطانيا ـ في مجلس العموم ، حيْثُ أشار إلى القرآن الكريم بأنّه العقبة الرئيسية والأساسية في استمراريّة الاستعمار للعالم الإسلامي !!!

وبعدُ . . . ، فلا جدال في أن الهويّة الإسلامية هي محْور المعركة ، ومنها ـ وحدها ـ يكونُ المنطلق ، للمواجهة والتصدّي ، و . . . التحدّي .

وننتقل إلى الغزو اليهودي ، [أو الصهيوني كما يحلو للبعض أن يُسمّيه في محاولة هروب من صبغة التعصُّب . . . ، وكأنها تهمة شنيعة ، مما أَوْقَع بعض السطحيّين في أَسْر التحلُّل من التديُّن] ؛

إن الغزْو اليهودي للعالم الإسلامي كان أَسْبق من الغزو العسكري الصليبي و . . . أدهى ، فقد انصبَّ في تيار مؤامراتٍ متلاحقة مسَّتْ صميم العقيدة وأوقعت الفرقة في صفوف المسلمين ، مُسْتغلًّا بعض الأحداث السياسية ، ومتخذاً منها سبيلهُ ووسيلته .

بدأ ـ مثلًا ـ بـ « عبد اللّه بن سبأ » ـ اليهودي اليمني ، الذي ادّعى الإسلام ، وقال في أحداث الفتنة بيْن « عليّ »

و « عثمان » ـ رضي اللّه عنهما ـ أقوالاً كثيرة ، وحاك خيوط بعض المؤامرات في الخفاء ، مما زاد في آشتعال النار واضطرام لهيبها .

ثم تَسَلْسَلَ الغزو من خلال (الإسرائيليات) التي دسَّها « كعب الأحبار » و « وهْب بن منبّه » في الحديث والتفسير ، وتنوقلتْ على ألسنة بعض العلماء من التابعين ردْحاً من الزّمن ، ثم قيّض اللّه لها من جُنده العلماء المخلصين مَنْ كَشَفَ عُوارها ، وردَّها على أصحابها . . .

فهل كانت القومية العربيَّةُ ، بمختلف تصوراتها ومفاهيمها ، هي المستهدفة ؟ أم الهويّة الإسلاميّة !!؟

ولا يفوتنا أن نقُول بأنَّ بذور الفتنة التي رعى حِبّاتها « ابن سبأٍ » وتلامذته من بعده ، قد لقيت في العصور الوسطى من التاريخ الإسلامِي ، [في أواخر العهد العباسي ، وعهْد الدُّويْلات] ، عناصر يهودية لعبتْ أدْواراً مختلفة في زيادة التشرذُم والتفرُّق ، ونشوء طوائف كثيرة لا تمتّ إلى العقيدة بسبب ؛ ولا إلى الأُمة بنَسب .

ثم نأتي إلى الغزو (اليهودي ـ الصهيوني) الحديث للعالم الإسلامي ، [والعربيُّ جزءٌ منه بالطبع، جغرافياً وعقائدياً] .

لقد بدأ ـ كما تحدثنا من قبل ـ فعلياً مع أواخر القرن الماضي ، وإن كانت المؤتمرات (اليهودية ـ الصهيونية) قد بدأت منذ آمادٍ بعيدة في الدرس والتخطيط .

وهنا لا بُدَّ من ملاحظة أَنَّ الغـزو الصليبي والغزو اليهودي ، رغم تغيُّر الأشكال والألوان والظلال ، كانا من منطلقٍ واحد ، وباتجاهٍ واحد ، يساند أحدهما الآخر ، كما يخدم أحدهما الآخر في مصالحه الآتية والمستقبليّة .

وأحبُّ أن أُضيف بأَنَّ أَيَّة محاولةٍ للتفرقة بيْن اليهودية والصهيونية محكومةٌ بالفشل والخُواء مُقدَّماً ؛

فالصهيونية حركة سياسية يهودية ، تلتزم في منطلقاتها وتطلّعاتها القواعد التلموديّة التي ينتهجها كُلُّ اليهود في جميع أنحاء العالم .

أما اليهودية كدينٍ سماويٍّ ، وتوْراتها التي أُنزلتْ على « موسى » ـ عليه السلام ـ فلا وُجُود لهما إطلاقاً .

نحنُ لا نُفرِّق بيْن « بني قينُقاع » و« بني النضير » و« بني قُـرَيْـظة » و « يهـود خيبـر » وبيْن « الصهيـونيـة » أو . . . [إسرائيل] !!!

أما الغزو الشيوعي ، فإنه من سطحيَّة البحث أن نربطه

بزمنه التاريخي الذي بدأ فيه مع مطلع القرن العشرين ، وبعد نجاح الثورة الإشتراكية عام ١٩١٧م ؛ إذ إن للخلفيَّة الوراثية والتكوُّن الفكري والمؤثرات المتنوِّعة عند صاحب المذهب (كارل ماركس) دوافع وحوافز ، هي في الواقع جذور العداء للإسلام وأَهْله !!![١] .

فـ (كارل ماركس) من أَصْلٍ يهودي ، ولم تكن أصالته اليهودية عادية ، لأَن جدّه (مرْدخاي) كان (حاخاماً) فهو في مرتبةٍ دينيَّةٍ قيادية ، ومركز مرموق ؛

أَمَّا التغيير الذي حدث لعائلة (ماركس) وهو الانتقال من اليهودية إلى المسيحية فقد كان بدافع الهروب من الإضطهاد الذي كان يُعاني منه اليهود في أوروبا ، في حقبةٍ زمنيَّةٍ آمتدَّتْ سنين عدداً .

ورُغْم الانتقال وأسبابه ، فإن (كارل ماركس) بالنسبة إلى الإسلام ما زال في مَوْقع الجبهة المعادية ، يحمل بيْن ضلوعه ، وفي أعماق عقله الباطن جرثومة الكراهية والحقد والضغينة .

أما مقالتُهُ : (الدِّين أفيون الشعُوب) ـ بعد إعلانه فلسفته

---

(١) يراجع في ذلك كتاب (الشيوعية والإنسانية) للأستاذ المرحوم عباس محمود العقاد (فصل : صاحب المذهب) .

المادية ـ ، فإنَّ هذه العبارة وإن كانت من حَيْثُ الرؤية العامة تُعلن الحرب على كُلّ الأديان بلا استثناء ، إلا أنَّها في الواقع تُعْلن حَرْباً مسعورة على الإسلام بالذات ، لماذا . . . ؟ لأنه الرسالة السماوية المُتكاملة التي تتناول حياة الإنسان بكل أبعادها ، وتنظمها في مختلف متطلباتها وشؤونها ، وتنظر إلى الكون والحياة : نظرةً شاملة ومفصّلة في آنٍ معاً .

والغزوُ الشيوعي للإسلام ذو شقّيْن : نظري وعملي .

أما النَّظري فقد حفلتْ بِهِ مستخلصات آراء رجال المذهب ودُعاته ، والمنشورة في مطبوعاتٍ دوريّةٍ ، وكُتُبٍ ، وغيرها . . .

فلقد كتبت الموسوعة السوفياتية الكبيرة في طبعتها الثانية من الصفحة (٩٦٤) من الجزء الثاني والعشرين ، المطبوع في (سبتمبر) ـ أيلول ـ سنة ١٩٥٣م ، تحت كلمة (قرآن) ما يلي :

[كُتِبَ القرآن زمن الخليفة الثالث (عثمان) (٦٤٤ ـ ٦٥٦م) ، ونظر إليه المسلمون نظرة تقديس .

ويبدو من الدراسات التي بيْن أيدينا أن القرآن ظل يتحوَّر ويتطور حتى بداية القرن الثامن .

وتقول الروايات التاريخيّة الدينية الإسلامية بأن كاتب

القرآن هو « محمد » - « ﷺ » - الذي يُعتبر مؤسساً للإسلام .

على أن تحليل مواضيع القرآن قد دلّت على أنّ بعض أجزائه ترجع إلى زمن « محمد » - « ﷺ » - وبعضها الآخر لا بُدَّ من إرجاعه إلى أزمان مُتأخرة أوْ متقدّمة .

ويؤيد هذا الرأي أيضاً وجود أساليب أدبيّة مختلفة في القرآن تُوحي بتطوُّر اللغة في أزمنةٍ وأمكنةٍ مختلفة .

والقرآن سلاح في أيدي الطبقة المستغلة المستثمرة ، ورجال الدين الرجعيين ، لخداع الطبقة العاملة وإذلالها][1] .

وكتب (أ . جاكوفنكو) في جريدة : (براڤدا ڤوستاكا) الصادرة في : (١٩٥٠/٦/٢٩) - [وهي جريدة يومية تصدر باللغة الروسية الطاشقندية ، ولسان حال اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في (أُوزباكستان)] ، ما يلي :

[كل الأحكام الدينية - (الإسلامية طبعاً !!؟) تُعادي العلم والمعرفة ، ويرفع الدينُ جَهْلَ الناس إلى درجة القدامة ، ويقول الإسلام : إن اللّه يجازي الناس بحسب إيمانهم لا بحسب معارفهم ، ومعنى أمثال هذه النظريات من الناحية

---

(١) من كتاب : الإسلام، أصله وروحه الاجتماعي ، (الحلقة الثانية رقم (٦) بقلم : (ل . أ . كليموفيتش) - طبعة زناني : (Znanie) (موسكو ١٩٥٦) .

الاجتماعية واضح ، وهو : حاجة الرأسماليين إلى عبيدٍ جهلاء أذلّاء ، والدين الإسلامي قد تكفّل بإيجاد أمثال هؤلاء العبيد لهُم][1] .

وكتب (إيبك) ـ الكاتب الأوزبكي ـ في العدد الصادر بتاريخ (١٥/١٠/١٩٥٠) من جريدة (براڤدا ڤوستاكا) الطاشقندية مقالاً جاء فيه :

[إننا لنرجو أن تعصف بالدين الإسلامي عاصفة سواد الشعب الثوريّة ، وأن تمحو آثاره من فوق سطح الأرض . . .] .

وكتبت جريدة (الشعلة التركمانية) ـ لسان حال الجمهوريات الإسلامية في الإتحاد السوفياتي ـ ، في عددها الصادر بتاريخ (٦/ ٤/ ١٩٥٨) ، تقول :

[أما الإسلام (الذي يعني بالعربية : الخضوع) فإن إسمه وحده كافٍ للدلالة على ما ينطوي عليه من خنوع وآستكانة وذُلّ ، وقد لعب كغيْره من الأَديان دوراً رجعيّاً وآستعملتْه الطبقات المستثمرة والمستعمرون الأغراب لاستعباد الشعوب الشرقية فكريّاً .

---

(١) نفس المرجع السابق .

أما العقيدة (الماركسية ـ اللينينية) المرتكزة على أساس علميّ فإنها كانت وما تزال مناهضةً لكل فكرةٍ في العالم تقوم على أُسُسٍ غير علمية أَوْ أُسس دينية كالتي يُقَدِّمها الإسلام] [1] .

هذا غيْض من فيْض مما نضحت به عقول وألسنة وأبواق الشيوعيين عن الإسلام ، ونحن لسنا في معرض الإتيان بكل ما قالوا وسطّروا ، فإن في خلاصة ما قدّمنا كفايةٌ لكل مستكفي .

كما أننا لسنا في صدَد مناقشة أقوالهم ، فهذا له مجالٌ آخر ، وقد اضطلع بعبئِهِ كثيرٌ من أساتذتنا الأفاضل ، فدحضوه وردُّوه على أصحابه ، بالمنطق وبالموضوعية .

إلاَّ أننا نلاحظ دائماً سمْتاً معيّناً فيما يقوله الشيوعيون عن الإسلام عنوانُه : الجهْل ، والإفتراء ، والتضليل .

وكفى . . .

هذا من ناحية الغزو الشيوعي النظري للإسلام وأهله ؛ أما الغزو العملي ، فقد كان هُو الآخر ذو شقَّيْن ، الشق الأوّل يتناول الحروب التي شنَّتها الثورة الاشتراكية ـ الشيوعية على المقاطعات الإسلاميّة المتاخمة لروسيا ، والتي استمرَّت سنوات

---

(١) نفس المرجع السابق .

وسنوات ، ثم انتهتْ بإخضاع تلك المقاطعات للحكم الشيوعي الاستبدادي .

وتتميَّزُ تلك المقاطعات بالكثافة السكانية من ناحية ، والثروة الهائلة من ناحيةٍ ثانية .

أما الشق الثاني من الغزو العملي فهو تأْسيس الأحزاب الشيوعية في العالم (العربي ـ الإسلامي) . . .

وهنا لا بُدَّ من محطّةٍ تضطرُّنا إليها خَلْفِيّاتُ المؤسِّسين العقائدية ، [والمحطة التي نعني محطّة التأمُّل والنَّظر لا محطة الإطالة في الشَّرْح والدرس . . .] فقد كان أكثرُ هؤلاء من اليهود ، سواء في مصر أوْ فلسطين[1] !!؟ .

ولعلَّ رجْعَ الحديث يُلْقي الأَضْواء على هذه الظاهرة فيكشف مستورها ويفضح خباياها وخفاياها .

وذلك أن اللجان الحزبية الشيوعية للثورة البلشفية ، السياسية والعسكرية ، وما انبثق عنها بعد نجاحها ، كانت تَضُمُّ نسبةً عالية من اليهود ، تجاوزت الثمانين في المائة من مجموع الأعضاء الرئيسيِّين القياديين[2] .

---

(١) من أقدم الأحزاب الشيوعية في العالم العربي .

(٢) يراجع في هذا كتابه : (موسكو واسرائيل) للدكتور عمر حليق .

ويظهر جليّاً من هذا : التوافق التوْأميّ للأهداف الصهيونية والشُّيوعية بالنِّسْبة إلى الإسلام كعدوٍّ رئيسي .

ولا نَظُنُّ أَنَّ القومية العربية هي المستهدفة ، بل الهويّة الإسلامية بكل مقوماتها العقائدية والسلوكية !!!

فهل في هذا شك ؟

ولقد أُوتيت حركة الغزو الشيوعي للعالم العربي - الإسلامي مُعْطياتٍ كثيرة هيّأتها لها الظُّروف والأحداث ، السياسية والاجتماعية ، التي كان يُعاني منها عالمنا ، من تخلُّفٍ واستعمارٍ وظُلْمٍ اجتماعيٍّ ، وغير ذلك ، خصوصاً ما بين الأربعينات إلى أواخر الستّينات .

(د) مُسْتَخلصات ... وحقائق ...

إن معركتنا مع إسرائيل [واليهودية العالمية من ورائها] معركة قائمة مستمرّة بآستمرار عُدْوانها وتطلُّعاتها التوسّعية ، وتحالُفاتها وغَدْرها ، شأننا وشأْنها في ذلك كالّذين خَلَوْا من قَبْل ...

لقد عاهدهم النبيُّ « ﷺ » في المدينة على التعايُش ، وأَقَرَّهم على أَوْضاعهم وما اختاروه لِأَنفسهم من معتقداتٍ وتصوُّرات ، وذلك من خلال وجودهم الواقعي ، وليس الوجود

الطارىء القائم على الاغتصاب . . . والقهر . . . والإذلال ، وانتهاك الحرمات والأعراف والقوانين !!! وربط (عليه السلام) ديمومة وجودهم واستمراره بحُسْن الجوار وسلامة التعايش ، فلما انقلبوا على عهدهم طائفة إثر أُخرى ، ونكصوا إلى أصالتهم الموروثة عدواناً وغدْراً ، حقّت عليهم كلمة العذاب والعقاب .

وكانوا هم البادئين دائماً وأبداً .

ولعلّ في كلمة أحد زعمائهم عن ماهيَّة الصِّراع مع الإسلام ومع النبيّ (عليه السلام) : [إنّها ملحمةٌ كُتِبتْ علينا] أَصْدق تعبير عن الواقع التاريخي لبني إسرائيل ، الممتد جذوراً في الماضي ، والضارب أغصاناً لا تحمل إلّا الشوك والقتاد ، في عنان السماء ؛ آناً ومستقْبلاً .

فملحمة العدوانِ والْغَدْر ، وما يستتْبعُهما من مظالم ومآثم ، إن هي إلا رحىً تَطْحن بَيْن فَكَّيْها هذا الشَّعْب ، الذي آستقرَّ مُنْذُ ثلاثة عقودٍ ونيِّف من السنين على أرض فلسطين ، بعد طُولِ تشرُّدٍ ومعاناة ، جزاءً بما كَسَبَ وأسلف .

وليس هذا (الاستقرار المصطنع) إلا بيْتاً من كرتون سوف ينتهي عاجلاً أو آجلاً ، مع الصَّحْوة الإسلاميَّة الحقّة ، إن لم يتدبَّر أمره ، وينزع عن العدوان والغدْر ، إلى السِّلْم والتعايُش ، بعيداً عن الأحلام والأوهام .

إن عُمر الأمم والدول لا يُقاس بالعقود القليلة ، وإن تجاوزت العشرات ، ولكنه يُقاسُ بالقواعد الثابتة التي تؤهِّلها للديمومة والاستمرار . . . [وإسرائيل بالطبع تخضع لهذا المقياس] .

لقد أُنشئت في الشرق أربع ممالك صليبية ، إثر الغزو الهمجيِّ الحاقد على بلاد الإسلام ، فاستمرَّ بعضها طويلاً . . . ، وعمَّر كثيراً . . . ، ولكنها آنتهت جميعاً وبادت ، وزالتْ . . . ، وأضحتْ أثراً بعد عيْن . . .

لا نقول ذلك تطميناً أوْ تخديراً . . . ، ولكنه الواقع التاريخيُّ ، وعِبَرُهُ ودروسه ومواعظه ، تقدِّم لنا المعادلات الحقّة التي لا تتخلّف ولا تُخْطِيء .

فالصَّحْوة الإسلاميّة ضرورة . . .

ومن الضروري أن تكون الثوابت التي أسلفناها في البحث ، وأوردناها في طيّاتِ العرْض هي المستخلصات والحقائق التي يجب أن تتوفّر في آستراتيجيتنا ، فلا نحيد عنها قيْد أنملة . . .

وإلا فإننا سوْف نبقى في خضمّ التِّيه ، تتقاذفنا التيارات وتلعب بنا الأنواءُ والأعاصير ، بعيدين عن مرسى الأمن والأمان .

كـلمةُ الختــام

وبعدُ . . .

فهذه لمحاتٌ سريعة عن موضوعاتٍ كلها تنصبُّ في بوتقة البحث ، وأعتقد جازماً أن كُلّ واحدٍ منها يَجْدُر أن يكون كتاباً بمُفْرده لمن يرغب في التوسُّع والعُمْق ، غير أنني مِلْتُ إلى التركيز الوجيز ضنّاً بالفكر والشعور من الإنسياب في متفرعاتٍ ومطوّلات لا تُغني كثيراً ، وقد تُفْضي إلى الملل ؛ وحرْصاً مِنّي - أيضاً - على قاعدة : [إن الكلام الكثير ينسيك آخرُهُ أوَّله] .

وإلاَّ فما فائدة المراجع لمن يريدُ أن يعوِّل عليْها ويستند إليْها !؟

وأخيراً أرجو اللَّه العليّ القدير أن يتقبَّل عملي هذا بقبولٍ حسن ، وأن يكون خالصاً لوجهه تعالى ، ويجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة ، ﴿ **يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلاَّ من أتى اللَّه بقلْبٍ سليم** ﴾ .

وآخر دعوانا أنِ الحمد للَّه رب العالمين .

التنفيذ الطباعي

مؤسسة دار الريحاني للطباعة والنشر ش.م.م.
عقيل دكروب وشركاه
بيروت - لبنان

تلفون: ٨١٤٩٨٨ * ٨١٣٩٣٠ * ٨٠٤٥٦٤ * ٨٠٤٥٦٥
ص.ب: ١٣/٥٣٧٨ شوران - تلكس: RIDCO 41127 LE